موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة الرينة

قضاء الناصرة

إعداد:

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية
Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة الرينة

بلدة الرينة قضاء الناصرة

للباحث والمؤرخ

مروان الماضي

تدقيق لغوي: علاء الدين النمر

تصميم الغلاف: محمد الدلو

تنسيق وتنضيد: أريج عودة

الفهرس

إهداء 8

تقديم 9

مقدمة 10

الفصل الأول لمحة جغرافية 11

الموقع 11

تطور عدد السكان في بلدة الرينة 11

أهمية الموقع 12

مشاريع الري والعيون 13

الآثار في بلدة الرينة 14

الفصل الثاني لمحة تاريخية 16

فلسطين تحت الانتداب 18

الفصل الثالث الحياة الاقتصادية 20

الفصل الرابع الحياة الاجتماعية 26

عائلات البلدة 27

أعلام البلدة 27

صالح خليل سكران 27

الدكتور فهد أبو خضرة 28

الشاعر الشعبي توفيق السعيد الريناوي 29

الشيخ حسن علي حشمة 29

إبراهيم حنا إبراهيم 29

الدكتور سليمان زعرور 29

البروفيسور سالم خميس 30

الدكتور أسعد بصول 30

حنا أبو حنا 30
غادة بصول 30
طارق محمود بصول 30
الفصل الخامس الموروث الثقافي والاجتماعي 32
الطب الشعبي 32
العلاج الديني 33
الأمثال الشعبية 33
المعتقدات الشعبية 34
الفصل السادس بنية المنازل والأدوات المستخدمة 37
الديوان 37
أدوات البيوت والطعام 38
الفصل السابع الأفراح (الزواج ومراسيمه) 41
الخطبة 41
التحضير للزواج 42
حفلات الزواج 42
ولادة المرأة 45
الفصل الثامن ثقافة المقاومة السلمية 50
التمثيل والمسرح 52
الفصل التاسع مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 59
الفصل العاشر سياسة دولة الانتداب البريطاني على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل 66
الهجرة في زمن النكبة عام 1948 68
القوانين التي أصدرتها دولة الاحتلال لطرد وتهجير الفلسطينيين في أراضي 1948 69
الاضطهاد الديني 70
الفصل الحادي عشر انتفاضات شعب فلسطين 73

الانتفاضة الأولى: (انتفاضة الحجارة) 74
الانتفاضة الثانية: (انتفاضة الأقصى) 75
الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 77

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين، نذكرهم بأهمية فلسطين.

فلسطين، هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعيون، تهفو له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر. والقلوب تبكي لفراقه، وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله، هم الباقون والمبعدون من أصحابه، عرب فلسطين.

لم تمض ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه. أجواء الكون تحمله، وموجات الأثير المسموعة منها والمرئية والمقروءة تنقله، حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كانت لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، إفريقيا).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع: كروم، زيتون، تين، لوزيات، وحمضيات. إنها أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج في "الجرمق" و"كنعان" بصفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت، والتي تنخفض 435 متراً تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة: مصرية، كنعانية، بابلية، آشورية، كلدانية، آمورية، يونانية، رومانية، فارسية وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع: الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية، والبن والصمغ اليمني، والتمور العراقية، والبروكار الحريري الدمشقي، والسجاد الفارسي، والزجاج الخليلي، والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة، والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. لهذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين. ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني ذي الأيديولوجية الخاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء، وطمس المعالم، وسرقة الآثار، وتشويه التاريخ، وتزييف الوثائق، ونفي الهوية الوطنية، وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين. فأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية: ماضيها، حاضرها، ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية. وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، ويهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا، فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية، أي تندرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة "أدب" بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية ملحة في ظل محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. فعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، والحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم، وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور وغناء ودبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل ما يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف، لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص، والحس الوطني الصادق، والتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، وأن يمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين. واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة، وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف). واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور. وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري، ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية، وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية. وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية، وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب، الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي جعلوه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن، وليس على عدو افتراضي. هل هذا الحماس الأمريكي في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدين في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول

لمحة جغرافية

الموقع

تقع بلدة الرينة في القسم الجنوبي من جبال الجليل الأدنى على ارتفاع 325 متراً عن سطح البحر، وإلى الغرب من جبل سيخ الذي يبلغ ارتفاعه 573 متراً. تحيط بها عدة ينابيع وآبار: ففي شمالها الشرقي تقع عين الخبانه وبئر الشمالي، وفي جنوبها البئر التحتاني، وفي شرقها عين المرجة وعين موسى، وفي جنوبها الشرقي عين القانا.[1]

هي بلدة عربية تقع على بعد 5 كم شمال شرق الناصرة، وتمر طريق الناصرة – طبريا المعبدة شرقها. يرجع اسمها إلى "راني" الرومانية التي كانت مكان البلدة الحالية. في العصور الوسطى عند الفرنجة سُميت باسم "راني". وهناك من حاول أن يرجع الاسم إلى كلمات عربية مثل "رنا" أو "ران" وغيرها.[2]

وتشبه البلدة في شكلها المستطيل الممتد من الشرق إلى الغرب. مساحة أراضيها 10902 دونماً، احتلها الصهاينة في 1948/6/15م.

تطور عدد السكان في بلدة الرينة

العام	السكان
1948	2307
1949	2392
1961	3270
1967	3000
1987	4930
1997	6703

بُنيت الرينة على سفح جبل تل كان يسمى "تل آبل" الكنعاني، ولا تزال آثار ساكنيه القدماء موجودة حتى الآن. وبهذا تكون الرينة أقدم وأفضل البلدات العربية التي تأسست قبل الميلاد بكثير. وسكانها يتكونون من طائفتين: الإسلامية والمسيحية، تربطهم أواصر المحبة والدم والأخوة.

إن وقوع بلدة الرينة في وسط كتلة الجليل الأدنى، وكثرة آبارها وينابيعها، يعود إلى مكونات صخورها الكلسية الدولوميتية النفاذة لمياه الأمطار، حيث تختزنها في جوفها وتخرجها إلى سطح الأرض في حواف الوديان والأنهار التي عمقت مجاريها ووسعتها مع الزمن،

إلى جانب ارتفاع كميات الأمطار فيها نسبياً. وقد أضفى عليها ذلك أهمية خاصة في ميدان الدراسة المائية السطحية والجوفية على حد سواء، وغنى الينابيع.

أهمية الموقع

تتمتع البلدة بعوامل كثيرة بسبب موقعها، يتجلى ذلك فيما يلي:

1) أنها من أوائل القرى التي سكنها الكنعانيون، بدليل الآثار الماثلة حتى اليوم.
2) قربها من مدينة الناصرة حتى تكاد بيوتها تلتحم ببيوت مدينة الناصرة، وكأنها باتت حياً من أحيائها.
3) وقوعها على مرتفع يتمتع بجو منعش وحرارة لائقة في الصيف، وباردة بعض الشيء في الشتاء، وحولها بساط أخضر من الشجر والعشب والكروم، وبواديها الأسفل منها، وإطلالاتها الجميلة.
4) بيوتها المبنية من الحجر الأبيض اللماع، وسقوفها القرميدية القرمزية التي تبهر الأبصار.
5) أمطارها الغزيرة في الشتاء حيث تختزن المياه في جوفها لتعيدها ينابيع صافية تسقي الزرع والبشر وكل شيء حي.
6) كانت جاذبة لسكن الإنسان منذ القدم، وقد توافد الناس من كل مكان ليتمتعوا بمائها وخضرتها وفاكهتها وزيتها وتينها وعنبها.
7) وجود آثار تاريخية موغلة في القدم من معاصر عنب، وصخور منحوتة، وأدوات مشغولة، وبقايا فخاريات مدسوسة.

وقد صدق الطبيب "سنوحي" وهو طبيب فرعون مصري عندما هرب إلى فلسطين لاجئاً بقوله: "إن الخمرة عند سكان فلسطين أكثر من الماء". وهذا يعني أنهم كانوا يتعاطون الخمرة أكثر من الماء في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، إلى أن جاء الإسلام ونهى عن شربها. لذلك فإن البعض يعتقد أن الرينة كلمة عربية، فمعنى الرينة بالعربية الخمرة وجمعها رينات. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن أول من أسس هذه البلدة هم الكنعانيون العرب، فإن كل الأسماء الأخرى مثل "راني" وغيرها تكون مشتقة من الكلمة العربية.

إن وجود بلدة الرينة على منطقة صدوع وفوالق جعلها عرضة لحركات تكتونية لقشرة الأرض، أي هزات أرضية عنيفة. ففي عام 1837م حدثت زلزلة شديدة تسببت بانشقاق الأرض وابتلاع ما عليها من بشر وماشية. وبعد 90 عاماً من هذا الزلزال، وفي تاريخ 1927/11/7، حدث زلزال هائل في فلسطين، كان أثره مدمراً على الرينة حيث تهدمت معظم منازلها، مما اضطر قسماً من أهاليها إلى الانتقال إلى الحي الجديد بعد أن قامت حكومة الانتداب البريطاني بتقسيم الأرض إلى قسائم، فأقاموا بيوتهم عليها. وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر تموز عام 1927م، ضربت البلاد هزة أرضية قوية راح ضحيتها أكثر من 500 قتيل، وخلفت دماراً كبيراً وبشكل خاص في كل من طبريا ونابلس واللد. أما نصيب الرينة فكان ثلاثة قتلى وعدد غير قليل من الجرحى، هذا عدا الدمار الذي لحق بالممتلكات والأموال. وبعد تلك الحادثة، شرع الكثيرون ببناء منازلهم على الجهة اليسرى من الطريق المؤدي إلى الناصرة، وأخذت تظهر تدريجياً ما يعرف اليوم باسم "الرينة الجديدة". وقد تميزت تلك الفترة بهجرة العديد من أبناء البلدة إلى مدينة حيفا.

إن الفوالق والصدوع التي طالت منطقة الجليل الأدنى والحركات التي انتابت تضاريسها خلقت منخفضات وارتفاعات كشفت عن المياه الجوفية على حواف الأودية، مما جعل أراضي الرينة غنية بالعيون والينابيع، وعذوبة مياهها وميزة بعضها من الناحية الطبية. وفي زمن الرومان أثناء حكمهم للمنطقة، حولوا هذه الينابيع إلى أقنية مدوها بشكل علمي فيزيائي لتروي المناطق والمزروعات البعيدة. وهكذا جمعوا مياه ينابيع الرينة في عدة مواقع منها، مثل موقع "عيون الجنان" في جبل سيخا الذي أقيمت على أنقاض أراضيه المصادرة مستوطنة "هاريونا" اليهودية. كما جمعت المياه أيضاً في البئر الشمالي وعين البيضاء في قنوات اخترقت السهل المؤدي إلى صفورية، وصعدت إلى خزان مياه فيها بسبب اختلاف الارتفاعات ومبدأ الأواني المستطرقة (3)، حيث ارتفاع الرينة 320 متراً عن سطح البحر بينما بلدة صفورية ارتفاعها 275 متراً فقط.

مشاريع الري والعيون

- **القناة** :من أهم العيون وأغزرها ماءً، دائمة الجريان طيلة أيام السنة، وهي في الجهة الشرقية لبلدة الرينة في موقع الوادي الشرقي. وقد سارت مياهها في مجرى روماني قديم، تدل آثاره على الخرب حولها وأن المنطقة كانت مسكونة في العصور القديمة.

  وفي العقد الثالث من القرن العشرين، في عهد الانتداب البريطاني، بُني خزان ماء في الحي الجديد من الرينة ولا يزال موجوداً حتى اليوم، وحولت إليه مياه القناة بواسطة مضخة، ومنه سارت المياه في أنابيب معدنية وضعت في أماكن رئيسة من القرية حيث كان السكان يتزودون منه. وكانت مياه القناة تروي بستان القناة الذي زرع بكافة أنواع الفاكهة، وكان بقربها بركة لتجميع مياه الري، وكان معظم شباب القرية يمارسون السباحة فيها. ومياه القناة كانت المصدر الرئيسي لعين الزينة التي كانت موجودة في موقع "المراح" (3) بجانب العين التاريخية التي لا يزال بناؤها قائماً حتى اليوم ولكنها مهملة، مع أن أهميتها التاريخية لا تقدر. وهي موجودة بمحاذاة شارع الناصرة – طبريا في مدخل الحي القديم. أما الخزان الذي كانت تتجمع فيه مياه القناة فقد أزيل من الوجود وأقيم مكانه بناء المجلس المحلي.
- **عيون الجنان أو عين المزجة**: تقع هذه العيون على سفح جبل سيخ في الجهة الشرقية من الرينة، وهي ترتفع عن سطح البحر حوالي 450 متراً، ومياهها كانت تصل إلى صفورية عن طريق وادي سالم الذي يمر إلى جانبها. ويوجد حولها أنقاض أبنية قديمة يعتقد أنها بلدة "راني" المذكورة والتي أخذ اسم الرينة منها كما اعتقد البعض. لقد حُرمت الرينة من أراضيها إذ صادرتها سلطة الاحتلال لإقامة مستوطناتهم، وبات سكانها وأهاليها في ضائقة سكنية واقتصادية وأصبحوا سجناء في بلدهم.
- **عين جعله**: تقع إلى الجنوب من الرينة بجانب شارع الناصرة — طبريا، وقريبة من مدخل الحي الجديد من الرينة. مياهها معدنية وكانت من أعذب مياه الشرب في هذه البلاد. حتى أن الشاعر الفرنسي "لامارتين" ذكرها في مذكراته عندما قدم إلى هذه البلاد في حملة نابليون، حيث قال عنها إنها أعذب المياه التي شربها في حياته وأن شربها يثير الشاعرية. وكذلك استعملت مياهها لشفاء بعض الأمراض الجلدية مثل "الحرارة."
- **عين القطعة** :وهي موجودة إلى الشرق من عين جعله، وربما سميت بذلك لأن مياهها كانت تنقطع في الصيف.

- **البئر التحتاني**: وهو موجود إلى الجنوب من الحي القديم للرينة في موقع "السدر"، إذ كانت مياهه متفجرة وغزيرة وكانت تروي مدينة الناصرة، حيث نُقلت بواسطة المضخات إلى الخزان القديم في الناصرة. استولت شركة "مكوروت" الإسرائيلية على هذا المصدر الهام للمياه، وحفرت بجانبه بئراً مهماً للماء تروي بواسطته المنطقة كلها بما فيها مستوطنتي "نتسيرت عيليت" و"الناصرة العليا" و"هاريونا."
- **البئر الشمالي**: وهو في الجهة الشمالية الشرقية من الرينة على الطريق الرئيسي من الناصرة إلى طبريا. وبسبب قربه من قرية المشهد المحاذية للرينة، كان سكان المشهد يعتمدون على هذا البير لاستقاء الماء منه، وذلك لعدم وجود مصادر مياه في قريتهم.
- **البصة**: كانت تقع على الشارع الرئيسي الناصرة – طبريا إلى الشرق من البئر التحتاني، إذ كانت نبعاً صغيراً يروي بستاناً إلى جانبه. وقد ردمت بالكامل وأقيمت مكانها أبنية سكنية.
- **عين الفار**: تقع إلى الشرق من القناة وتجري مياهها في الشتاء فقط.
- **عين الخربة أو عين راني**: تقع في الجهة الشرقية للرينة، وكانت سابقاً غنية بالمياه، ويوجد حولها آثار قناة رومانية قديمة، ومكانها قريب من ملعب كرة القدم الحالي.
- **عين البيضا أو عين آبل**: وهي في الجهة الشمالية للرينة، وكانت في السابق من أهم مصادر المياه التي حولت إلى صفورية.

الآثار في بلدة الرينة

إن من يتجول في منطقة الرينة ويسعى في جبالها وروابيها يرى ما خلفه الكنعانيون من معاصر العنب، مما يدل على وجود الكرمة في أراضيها، وما صنعوه من خمرة وزبيب وغيرها من الخيرات. ومن الآثار الموجودة في الرينة، إلى جانب ما خلفه سكن أجدادنا قرب مصادر المياه، وما تركه الأجداد من آثار الأبنية القديمة المنتشرة في كل مكان، أهمها:

- **خربة تل آبل**: وتقع في الجهة الشمالية الشرقية للرينة، حيث توجد آثار مدينة "آبل" العربية الكنعانية القديمة. تحتوي على أساسات بيوت ومدافن منقورة في الصخر. كما يوجد بقربها، إلى الجهة الشمالية منها، بقايا جدران القناة التي أوصلت المياه من عين البيضا إلى صفورية.
- **الرجم العجمي**: تقع الخربة في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية، وهي مليئة بالآثار التي تدل على أنها كانت مسكونة في العصور القديمة. وقد حولها المحتلون إلى مقبرة لمستوطنة "نتسيرت عيليت" التي بنيت على الأراضي العربية المصادرة.
- **خربة المرجة**: وهي أنقاض بلدة "راني" الرومانية التي يظن البعض أن اسم الرينة مشتق منها. وهي موجودة في الجهة الشرقية للقرية على سفح جبل سيخ، بالقرب من عيون الجنان.
- **خربة أبو مدور**: وقد سكنها الإنسان منذ القدم.
- **خربة القناة**.

ما كتبه بعض الرحالة عن بلدة الرينة:

في عام 1553م، قام رحالة فرنسيسكاني إسباني مجهول الاسم برحلة من دمشق إلى القدس، يصف فيها طريق الرحلة وصفاً مميزاً. يقول وصف زميلين مرافقين له لهذا الطريق وذلك في صيف عام 1553م: "بعد أن اجتازوا جسر بنات يعقوب وعلى بعد عشرة كيلومترات من خان جب يوسف، ثم يمرون شرقي صفد ويصلون إلى خان المنية على شاطئ بحيرة طبرية، ويقضون ليلتهم الثانية منذ مغادرتهم دمشق. ويمرون في اليوم الثاني بمسكنة (خربة غربي بحيرة طبرية)، ويمضون ليلتهم الرابعة في كفركنا، ويمرون في اليوم الخامس بقرية الرينة قبل أن يصلوا إلى الناصرة(4) ".

ويقول الرحالة "دارفيو": "اتجهت من الناصرة إلى قرية الرينة وبعدها إلى قرية قانا (كفركنا)، ويذكر أنها كانت خالية من السكان تماماً، وسار في وسط سهل خصب مزروع إلى أن وصلنا إلى مدينة طبرية(5) ".

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2، ص 497.
(2) الموسوعة الحرة – ويكيبيديا.
(3) الموسوعة الحرة.
(4) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 1، ص 232 – د. عادل عبد السلام.
(5) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2، ص 733 – عبد الكريم رافق

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

كانت منطقة الناصرة جاذبة لسكن البشر منذ أعماق التاريخ، فقد سكنها الكنعانيون العرب، وهم الذين تركوا آثارهم التي تكشف للبشرية ما كان يدور عبر التاريخ القديم. فقد تركوا معاصر العنب وحبهم لزراعة الكروم التي كانت تغطي أراضي واسعة، إذ وجدت في عتليت عنابر من مخازن كُتب عليها: "لقد ملأناها خمراً فاملأوها تبناً". والشواهد على حضارة الكنعانيين في فلسطين وغيرها من حضارة الفينيقيين الكنعانيين تعج بها المتاحف الإقليمية والعالمية. وهذه الآثار هي المصادر الأساسية التي تحقق الحق وتكذب دعايات العدو القريب منهم والبعيد. لقد دأب الصهاينة على طمس حضارات العرب والمسلمين بواسطة جهابذة مفكريهم، ويرجعون كل الثقافات إلى حضاراتهم. والسؤال: هل كان للإسرائيليين حضارة؟

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسو الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية، وأخيراً الحرية والديمقراطية. فهل كان لليهود حضارة؟ دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون: "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها، وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة. وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها، وآباراً محفورة، وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها. وتعلموا من الكنعانيين الزراعة، أو اقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال: صناعة الفخار، والخبز بالتنور، وصنع الخمور، وتربية النحل، وصنع الثياب، إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص، كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص". ويتابع غوستاف لوبون: "ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورُقياً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية."

ويتابع غوستاف لوبون قائلاً: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري. واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية، ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ. ولما صارت لليهود مدن في نهاية الأمر، كانوا في غاية العجز عن أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم، واضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج فجلبوا البنائين والفنيين والعمال، ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد."

ويقول سيغموند فرويد، عالم النفس اليهودي: "وفي الأسر البابلي، بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي، إذ تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثروا وتخلقوا بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولدت عندهم عقدة النقص. وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة، نسبوا لأنفسهم كل عظيم."

ويقول المؤرخ فيليب حتي: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون للعبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول في الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقّاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني". ويتابع حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس إله الخصب، وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم.

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة، حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين (1)، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم. وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي. وبعد زمن معين، لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكناً" (كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم ويكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم)(2) .

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم وما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ، إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى. وهم يعترفون، وكتبهم عبرت بذلك، بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه، إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية، بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء، حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة. أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية، إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والأمريكي، وباتت الصهيونية أداة هدم وتخريب ودمار لنهضة العرب بعد تخلصهم من الحكم العثماني. ونحن نرى كيف جعل الاستعمار البريطاني أولاً والأمريكي ثانياً من الغراب نسراً يهدد الأمة العربية بقوته العسكرية ونهب خيرات العرب، وكأن العرب هم أصحاب الهولوكوست. إن الحضارة التي تتغنى بها إسرائيل هذه الأيام ما هي إلا حضارة غربية جلبها المهاجرون إلى فلسطين بمساعدة الاستعمار، من رغيف الخبز حتى النووي. يقول أبو تمام الشاعر المعروف: "اغترب تتجدد". والعرب لم يكونوا نكرات حتى زمن الحكم العثماني، إذ بقيت الحضارات العربية والإسلامية ماثلة، إلى أن قام السلطان العثماني سليم الأول بسحب كبار الفنيين والحرفيين من مصر وبلاد الشام إلى إسطنبول للإفادة منهم في تطوير المهن عندهم على حساب حرمان العرب من هذه المظاهر الحضارية. وبقي للعرب وجودهم في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا.

وجاء الرومان وحكموا كل البلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط، فزرعوا الأراضي الواسعة وبنوا القنوات وجروها لتروي المزارع والثغور، وتركوا آثارهم التي حافظ عليها العرب والمسلمون وطوروها وأدخلوها إلى قصورهم وبيوتهم، ولم ندع أننا الذين أنشأناها وبنيناها. وجاء اليونان وحكموا وتركوا مدناً عمروها وسكنوها ولا تزال تحمل ما سموها به، ولم ندع أننا من أقامها وعزز بنيانها، ولا تزال مثل هذه المدن تحمل آثارهم وتتغنى بها مثل الإسكندرية وغيرها الكثير. وجاء العرب والمسلمون وحكموها وتركوا مآثر سكانية وحضارة اقتصادية وثقافية ومعارف وعلوم يشهد لهم التاريخ في نشرها وتعليم العالم دون تمييز. وجاء الصليبيون واحتلوا بلاد الشام

بحجة استعادة القدس من المسلمين، وقسموا البلاد على أمرائهم وعاثوا فساداً ودمروا أماكن عبادة المسلمين وقتلوا ونهبوا ما طاب لهم من غنائم بحقد لئيم، ولم يتذكروا سياسة الديانات السماوية وكيف عاملهم المسلمون عند احتلال القدس، حتى عندما أعاد صلاح الدين مدينة القدس ترك لأهلها البقاء أو الخروج منها. واستطاع الظاهر بيبرس إخراج الصليبيين من بلاد الشام نهائياً، وتبعها بهزيمة التتار في معركة عين جالوت بفلسطين، وهي آخر معركة لهم في بلاد الشام، فخرجوا مهزومين لم يتركوا سوى الخراب والدمار وقبور من قتلوهم في تعطشهم للدماء. وتعرضت البلاد إلى حكم المماليك، وكان منهم الجيد ومنهم الضعيف، وقد ترك الجيدون الكثير من الآثار العلمية التي أمدت العالم بالمعارف والخبرات العلمية من تقدم في الطب والفنون والفلسفة وعلم الكلام.

وبقيت بلاد العرب تحت حكم العثمانيين أربعة قرون، أوقفت الدولة الحاكمة خلالها كل تقدم، وبينما كانت أوروبا تنهض بكل مقومات التقدم والحضارة، ظل الوطن العربي والإسلامي في سبات عميق وضعف قاتل وفقر مدقع، وهمّ الباب العالي جمع المال ولو على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال البريئة. فتعاون الأحرار العرب مع الشريف حسين الذي أعلن الثورة ضد السلطة العثمانية بالتعاون مع الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وطردوا العثمانيين من بلادهم ليجدوا حلفاءهم المستعمرين من فرنسا وبريطانيا والصهيونية، وقد اقتسموا البلاد فيما بينهم: فرنسا احتلت سورية ولبنان، وبريطانيا الغادرة تولت انتدابها على فلسطين والأردن والعراق لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة القومية لليهود في فلسطين. وقد اعتمد الأتراك سياسة "فرق تسد"، واندلع الصراع بين العائلات في أكثر من منطقة، وقد استغل الانتداب البريطاني لفلسطين هذه السياسة المدمرة ومارسها بشكل وحشي لا أخلاقي في تمزيق الوحدة، وقد تبعتها إسرائيل في فلسطين المحتلة وزادت عليها بحقها الأسطوري في نهب بيوت العرب في فلسطين وتشريدهم، واستولت على أملاكهم من عقارات وأثاث وأراضٍ بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار وأمريكا في الأوساط الدولية.

فلسطين تحت الانتداب

لقد تأثر الهيكل الاجتماعي العربي الفلسطيني بشكل واضح تحت الانتداب البريطاني. إن صك الانتداب البريطاني ينص على مساعدة اليهود بإيجاد وطن قومي لهم في فلسطين، وهو وعد بلفور الذي صدر في 1917/10/2م. وقامت بريطانيا بتعيين أول مندوب لها في القدس وهو "هيربرت صموئيل" اليهودي، ومعه مخطط لتنفيذ الوعد أكثر نفعاً من وعد إبراهيم عليه السلام، واستغلوه استغلالاً منظماً ووظفوا كل أساليب الدعاية والإقناع والإرهاب والتزوير لتحقيق أهدافهم.

ومنذ بداية الانتداب البريطاني، اعتبر العرب أن تدهور الأحوال الاقتصادية هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية الرامية لتشجيع الهجرة. وقد كتب جورج ستيوارت(George Stewart) ، حاكم لواء حيفا، في أوائل نيسان 1922م إلى تشرشل وزير المستعمرات تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها وما له من أثر قوي على موجة الاستياء التي تعم مختلف سكان العرب في فلسطين، إلى حدّ تجاوب معه القرويون مع حملات التحريض المضادة للحكومة. ويتابع هذا الحاكم في رسالته ويقول:

"فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة، وفي حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالربح على العرب متدهورة. كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سورية أخذت تقتل الترانزيت، فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع بالمفرق يكاد يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، وقد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية وأصحاب

العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال. إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم. أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية)، فإنهم كادوا يصلون إلى حالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى، وإن بعضهم يواجه الإفلاس. وليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وإنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول. ويرى ساكن المدينة أن ما يعانيه، ولن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنها من الهجرة اليهودية. أما البدو، فعليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين(3) ".

تعليق :إن رسالة جورج ستيوارت حاكم حيفا إلى ونستون تشرشل يمكن إيجازها بجملة واحدة: إن الانتداب البريطاني على فلسطين جاء ليفقر سكانها العرب من أجل سيطرة الصهيونية على فلسطين.

وفي هذا الموضوع، أقدم للقارئ وصفاً للمؤرخ البريطاني (آرنولد تونبي) في وصفه للتكنيك الصهيوني العدواني بقوله: "إن الأعمال الشريرة التي اقترفها اليهود الصهاينة في حق عرب فلسطين، والتي يمكن مقارنتها بالجرائم التي اقترفها النازيون ضد اليهود، ويمكن تصويرها في ذبح النساء والأطفال والرجال في دير ياسين في 1948/4/9م، مما استدعى هروب السكان العرب بأعداد كبيرة من المناطق التي تقع ضمن نطاق زعماء المستعمرات اليهودية المسلحة." ولو أن هذا المؤرخ ما زال حياً لرأى المجازر التي يرتكبها هذا النظام في أرض العرب، من مجازر مثل مذابح قبيه، ودير قاسم، والطنطورة، وجنين، وغزة في حرب 1956م وما تبعها حتى الآن، ثم مجزرة بحر البقر في مصر، مروراً بمجزرة قانا، والمذابح التي أشرف عليها شارون في شاتيلا عام 1982م، وما أسفرت عنه من آلام واستنكار محلي وعالمي. بينما وقفت حكومات الدول الغربية والولايات المتحدة وكندا تدافع عن هذه الممارسات التي حرمتها الشرائع السماوية ومواثيق الأمم المتحدة. ولا تزال هذه الدول تمارس تأييدها للصهيونية، ليس حباً باليهود بل كرهاً بالعرب والدين الإسلامي. وأصبح في عرفهم بأن الذي يدافع عن أرضه وأملاكه إرهابي، والذي يقصف بالصواريخ والطائرات بطل، والذي يقذف المحتل بالحجر أو يطعنه بسكين إرهابي.

المراجع:

(1) بلادنا فلسطين، مجلد 7، قسم 2، ص 256.
(2) مصطفى مراد الدباغ بلادنا فلسطين، مجلد 7، قسم 2، ص 256 – مصطفى الدباغ.
(3) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2 خاص، ص 110 – أحمد طربين

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

(زراعة – صناعة – تجارة – سياحة)

كانت الزراعة أيام حكم الانتداب البريطاني نشطة، فالعمالة كانت متوفرة في العقد الأول من حكم بريطانيا لفلسطين. الفلاح يعمل في أرضه، وإنتاجه يباع في الأسواق، ويحصل على المال لشراء حاجاته من ثياب وسكر وأرز وقهوة إلى جانب الكبريت ووقود الكيروسين. وبالمقابل، يبيع الفلاح غلات أرضه من قمح وشعير وعدس وذرة وزيتون، إلى جانب ما أنتجه من ألبان (جبن، زبدة، سمن) ومن الدواجن (الفراخ والبيض) ومن الأغنام والماعز الكثير. يزرع الأرض بالحبوب في أواخر الخريف، ويحصد ما زرع في أواخر أيار، ويجمع الحبوب بعد دراسها في أكياس من القنب، ويحفظ قسماً منها في بيته والباقي يطرحه في السوق للبيع. وكذلك الحال للبقول من (عدس وفول وحمص وسمسم وكرسنة وغيرها). وكان الفلاح في بحبوحة من العيش الكريم.

وفي العقدين الأخيرين من حكم الانتداب لفلسطين، تغيرت الأحوال لصالح الصهاينة لأسباب أوجزها:

1) محاربة الفلاح في أرضه، إذ سُنت قوانين لتحويلها إلى اليهود، منها أن كل أرض لم تزرع خلال سنتين تُصادر ثم تُحول إلى اليهود، أو أن صاحب الأرض إذا لم يفلح أرضه خلال سنتين تُصادر لصالح المستوطنين اليهود، وكذلك الأراضي التي لم تُدفع عنها الضرائب والرسوم.
2) إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة بأسعار تقل عن الأسعار السابقة دون حماية المنتج الفلسطيني، مما أفقر الفلاح أو مالك الأرض العربي.
3) جلب العمال الفلسطينيين العرب من مزارعهم ليعملوا في بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني الذي قدر عدده بـ 80 ألف جندي في كل البلاد. وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت، مثلها كمثل دول الخليج هذه الأيام، بحاجة إلى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.
4) إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية من مراكز للبوليس ودور للحكم، وسمحت للصهيونية بإقامة دوائرهم الخاصة وجمعياتهم ومؤسساتهم حتى باتوا يعيشون في دولة داخل دولة.
5) كل هذا كان يهدف إلى سلب الأراضي من أصحابها وإحلال المهاجرين الصهاينة فيها دون منح الفلسطينيين أي حق من الحقوق، بل كان هدفهم إفقار الشعب وتدميره. ونحن نرى الآن، وقد مر علينا هذه الأيام مئة عام منذ وعد بلفور في 1917/10/2 حتى اليوم 2017/10/2، ونحن نعاني نظاماً تسلطياً إسرائيلياً من احتلال للأرض، وقتل لكل معارض، ونهب لأموال أهل البلاد، وامتلاء السجون، وتهجير الناس بالجملة، واستقبال الأغراب، وتوزيع الغنائم بدون حق أو وخز ضمير، أمام مسمع وحضور الأمم المتحدة التي وظفتها لهم الدول الاستعمارية والدولة الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية. من خطط الاستعمار البريطاني وما خطط له، جاءت الإمبريالية الأمريكية بخططها الشيطانية لإكمال المشوار

في تدمير العرب ودينهم الإسلامي، ومحاربة بعضهم بعضاً، وتوظيف أسلحتهم ضد شعوبهم، وهدم بيوتهم بأيديهم، ليس حباً باليهود بل كرهاً وحسداً للعرب والإسلام.

لقد تأسس المجلس المحلي للقرية عام 1969م، ويتكون من أحد عشر مقعداً موزعين بين خمس قوائم: الجبهة الديمقراطية ممثلة بأربعة مقاعد، والحركة الإسلامية ممثلة بمقعدين، والمعراخ ممثلة بمقعدين، وقائمتان مستقلتان لكل منهما مقعد واحد. المجلس المحلي يُنتخب مرة كل خمس سنوات، ويرأسه جميل أنور بصول. أوصلت البلدة بشبكة مياه الشرب عام 1959، وبشبكة الكهرباء عام 1975، ودخلت شبكة الهواتف في فترات متقطعة كانت بدايتها عام 1960م. وتعمل ست عيادات طبية منها: عيادة لصندوق المرضى، وأخرى عامة، وأخرى لمكابي، بالإضافة إلى نشاطات كثيرة من ترميم ورعاية الطفولة والأمومة، وثلاث عيادات خاصة وصيدلية. ووضعت خطط إسكانية وصناعية جديدة بالإضافة إلى تسارع ترميم المدارس. وتعمل في البلدة أربع مدارس: ثلاث منها للمرحلة الابتدائية وواحدة ثانوية تضم حوالي 557 طالباً وطالبة، ويلتحق برياض الأطفال 143 طفلاً موزعين بين روضات دينية وحزبية وخاصة. وتعمل فيها عدة نوادي وهي: نادي المسنين، والمركز الثقافي، ونادي الهستدروت، ونادي الحزب الشيوعي والمؤسسات. وتم تعويض ما سلبه المحتل من أراضي أهلها، وتحسين ذلك باستخدام المخابر والأسمدة في مضاعفة الإنتاج، واتباع البناء الشاقولي لتوفير الأرض للزراعة.

رغم تحويل أراضي إلى المستعمرات المجاورة، وفتح مشاريع للطرق والجسور رغبة في تسهيل المواصلات للمستعمرات ونهب الأراضي العربية المتبقية، فإن أهالي البلدة كسبوا أراضي جديدة في المرتفعات عن طريق بناء المصاطب وزرعها بالأشجار المثمرة: تفاح، أجاص، عنب، زيتون. كما أقاموا فيها بيوتاً بلاستيكية لزراعة الأزهار والخضروات، ومزارع للدواجن، وتربية النحل وغيرها من المنتوجات المرغوب فيها. وتملك البلدة العديد من المواشي من أغنام وأبقار تكاد تكون كافية للاستهلاك المحلي، وبعض الألبان يُصدر للأسواق. لقد تطورت الزراعة عن ذي قبل، فأصبح الدونم يعطي إنتاجاً ضعف ما كان في الماضي، بعد أن باتت الزراعة تعتمد على الخبرة والمخابر والأسمدة والري بالتنقيط، وأصبحت المواد الزراعية تدخل في عصر المكننة، وكذلك للدواجن والألبان، حتى الخضار باتت تعبئتها وحفظها صناعة نموذجية. وكل هذا النشاط متوفر في بلدة الرينة.

إن من يتجوّل في جبال الرينة يشاهد آثار هؤلاء الجدود، ويلفت نظره كثرة معاصر العنب فيها، مما يدل على وجود الكرمة بكثرة في أراضي الرينة. وذلك يعني أن السكان آنذاك تعاطوا الخمرة إلى أن جاء الإسلام وحرّم شربها. لذلك فإن البعض يعتقد أن الرينة كلمة عربية، فمعنى الرينة بالعربية الخمرة وجمعها رينات، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أول من أسس هذه البلدة هم الكنعانيون العرب. وعليه تكون كل الأسماء الأخرى مثل راني وغيرها مشتقة من الكلمة العربية.

أما الصناعة في الرينة، فقد تحولت من صناعات بسيطة مثل الحدادة في صناعة المحاريث والسكاكين والخناجر والسيوف، إلى آلات تعمل بالوقود والكهرباء والطاقة الشمسية، إلى مطاحن لطحن الحبوب، وآلات للخياطة، وأخرى لحياكة الصوف والكتان والخام والحرير، وصناعة الألبسة بأنواعها، وتصليح المعدات بأنواعها من سيارات وغسالات وأفران ومعدات كهربائية وإلكترونيات وأجهزة اتصالات وأدوات طبخ وفخاريات وزجاجيات وغيرها كثير.

إن موقع الرينة وقربها من مدينة الناصرة جعلها تملك شبكة من المواصلات تربطها بالسهل الساحلي عن طريق الدولي العابر غرباً إلى الداخل بطرق متفرعة معبدة تصل الساحل بالداخل بطرق متعامدة، مروراً بالمستوطنات والمدن والقرى العربية، ومن هناك تتصل بالطرق العربية المحيطة بالرينة وبيسان في الأغوار وعبر سهول صفورية وكفر كنا. لقد سهلت الفوالق والصدوع العرضانية في جبال الجليل والكرمل، وما أحدثته في طبيعة الأرض من فجوات للأودية والأنهار، في تعميق مجاريها وتوسيعها، لتمر بها القوافل التجارية والجيوش الجرارة عبر آلاف القرون، ولا تزال المواصلات تلعب دوراً مهماً في حياة الناس وسعادتهم في شتى المجالات، وسبب وجودها على الشارع الرئيسي في مركز البلدة.

وتحتل محلات الخدمات على طول الطريق العابر من الناصرة إلى طبريا. يُقدر عدد ورشات العمل في البلدة بأكثر من 29 محل ورشة عمل ومصنعاً، تستخدم 85 عاملاً غالبيتهم من الذكور. ويعمل 51 حانوتاً تجارياً، ويوجد بنك واحد. وتفتقر البلدة إلى جميع أنواع المكاتب المهنية، وأهلها يتلقون الخدمات المكتبية في مدينة الناصرة. ويعمل أغلب أهلها في البناء والخدمات العامة. ومن المعروف أن بلدة الرينة تنقصها المشاريع لتخفيف البطالة الجاثمة فوق شبابها وشاباتها، ومن المؤسف حقاً حدوث ذلك، وأن نسبة التعليم والتطور عند سكانها لا تقل علماً وخبرة عن ما جاورها من التجمعات البشرية، خاصة وأن المغتربين الأغنياء بحاجة إلى حماسة لفتح الكثير من المشاريع في بلدتهم، وإنقاذ أهلها ورفع مستوى الحياة فيها، بتطوير المعامل والمصانع المتواضعة في البلدة وتحسين الخدمات لإنتاج مواد بناء ومخابز ومكاتب للخدمات وما أكثرها، مع العلم بقلة أراضيها التي صادرت سلطة الاحتلال معظمها، مما عطل الزراعة وجعل الفلاح يحوم حول أرضه وهو يرى المحتل يستثمرها ويتمتع بخيراتها، فيبلع ريقه ويختزن قلبه ألماً وحقداً ويشحن صدره قيحاً وغيظاً.

إن مواد البناء تشغل الحيز الأكبر من قطاع الصناعة في البلدة. وهناك مصانع تقليدية كحرفتي الكلس والفحم، اللتين وفر الله لهذه البلدة كل مقوماتهما من حجر وشجر. لذلك وُجدت صناعة الكلس من جمع الحجارة ووضعها في حفرة واسعة بشكل قبة، ثم وضع الأخشاب بداخلها وإيقاد النار فيها، فيحترق الحجر وتبقى النار مشتعلة والصخر يزداد حرارة، ثم تطمر قبة الحجر بالتراب. وفي اليوم الثاني وبعد ذهاب الدخان، يُزاح التراب عن سطح الحجارة ويصبح الحجر جاهزاً للتصنيع. ثم تُعبأ الحجارة بأكياس وهي حية، وتوضع في مخازن جافة بعيدة عن الرطوبة. وعند بيعها، يُحذر استخدامها بدون وضعها في برميل فيه ماء حتى يخفف الماء من حرارتها التي تبلغ درجة الغليان عند وضعها، ثم بعدها تُنقل ويُجفف الكلس للاستعمال. أما الفحم، فيُجمع الحطب من أركان الحرش ويُقطع، ثم يوضع في حفرة واسعة ويُترك له فجوة توقد في داخلها النار، فيشتعل الخشب وتدب النار فيه. وعندما يرى العامل أن النار نالت القبة من جميع أركانها، يطمرها بالتراب أيضاً، وتبقى النار تعمل ببطء حتى تخبو النار وينقطع الدخان، عندها يكون الفحم قد أصبح جاهزاً. وفي اليوم الثاني، يُزاح التراب ويُجمع الفحم ويُعبأ في أكياس من القنب ويؤخذ لخزنه في مناطق جافة بعيدة عن الرطوبة، ثم يُنقل إلى الأسواق لبيعه هناك. وكم كانت المكالس ومصانع الفحم كثيرة وشائعة! ولا تزال هناك مصانع لتعليب المخللات ومصانع الحليب والألبان.

ومما ساعد على نمو اقتصاد البلدة سهولة المواصلات، ووجود المستعمرات المحيطة بها، وشبكة المواصلات القريبة منها والمرتبطة بالداخل بأكثر من ممر. فيها الأيدي العاملة المدربة والخبيرة في البناء وقطع الصخور وجودة تصنيعه وحسن توظيفه وزخرفته ورونق أشكاله، حتى بات الحجارون في البلدة يشار إليهم بالبنان. وقد يمثل العاملون في البناء 35% من عمال البلدة. وتأتي مهنة تصليح

السيارات والحافلات وتحتل الدرجة الثانية بنسبة 20% من العاملين. ومهنة الحدادة والألمنيوم والغزل والنسيج والحياكة والألبان والوظائف الصحية منها والخدمية تمثل ما تبقى، مع 6% للزراعة.

وقد أقيمت في البلدة حديثاً مكاتب سياحية لجذب السياح إليها، وذلك لموقعها وحسن جوها وجودة مناظر الأحراش حولها ووفرة المياه والينابيع، مما يساعد في تأمين المرافق العامة وتوظيفها للسياحة حتى تستقطب السياح إليها. فالمواصلات باتت سهلة، وينقصها الكادر المدرب لهذه المهنة والمؤسسات الضرورية لإقامتها حتى تدخل البلدة مورد السياحة وما تقدمه من خيرات لأهل البلدة.

وهناك مشروع مربح لأهل البلدة والممولين منهم بالتحديد، وهو بناء مشفى عصري متخصص يكون جاذباً للمرضى البعيدين منهم والقريبين، ويكون مفخرة ترفع سمعتها ورفاهة أهلها. وعلى المثقفين أن يتمسكوا بحماستهم وغيرتهم لإقامة هذا الكنز العظيم الذي يعم الخير منه لدى الجميع.

الديوان: الديوان هو مقر تجمع زعيم العائلة في البلد أو الحي. وهو عبارة عن بناء واسع يسمح لعدد كبير من الزوار والضيوف، يُحاط بالفرش والمساند، ويتوسطه وعاء معدني فيه أباريق القهوة يُدعى "منقل"، وبقربه صينية فيها فناجين القهوة تقدم للضيوف. وتعقد فيه جلسات يتناول فيها الحاضرون شؤون العائلة وأوضاع أسرها وبحث المشكلات. وقد لعبت الدواوين دوراً بارزاً في الحركات الوطنية الفلسطينية بالتخطيط، ومقاومة الاحتلال، ومساعدة الثوار بالمال والمقاتلين.

وكان للديوان نشاطات أخرى مثل دراسة شؤون البلدة من ماء وطرق ومدارس ومحاصيل زراعية وتسويقها والمواصلات وغيرها من دوائر خدمية. وفي حالات الراحة، يقوم رواد الديوان بلعب الطاولة أو المنقلة أو الورق، وهو على عدة ألعاب منها: طرنيب، الزنبيل، الباصرة، والليخة.

الخزانة: ذات الأبواب الملبسة بالمنخل حيث يدخلها الهواء فيبقى الطعام ليوم أو اثنين بعيداً عن الحشرات والذباب. أو توضع اللحوم والطبخات في أوانٍ مفتوحة وتوضع في وعاء من القش مدلاة بحبل بعيداً في الهواء الطلق، ولا تفسد شرط أن تكون في الظل. وأحياناً يكون الليمون والبرتقال نادراً في الصيف، لذلك يلجؤون لحفظ الليمون خاصة ويطمرونه في رمال رطبة، وكلما احتاجوا إليه أخرجوه من بين الرمال واستخدموه في العصير على الطعام، وربما يبقى في الرمل شهراً أو شهرين(1) .

بينما استُبدلت البرادات على أنواعها في حفظ الأطعمة لأيام وأسابيع وشهور. ومن الأدوات المستعملة عند أهالي فلسطين كانت الحصير أو الحُرم، والفرشة، والمسند، والمخدات في غرفة الجلوس (غرفة القعدة). وإذا جاء الطعام محمولاً على طبق من القش يوضع في وسط الغرفة، وتجلس الأسرة حول الطبق ويتناولون طعامهم بكل راحة. ثم تحول الطبق إلى طاولة قصيرة الأرجل، وتلتف أفراد الأسرة وهم جلوس على الأرض ويتناولون الوجبة بحرية وببساطة. وقد تطورت الطبق إلى "الطبلية" (الطاولة السابقة) ثم إلى طاولة كبيرة أرجلها طويلة، وحولها تصطف الكراسي ويجلس الآكلون على الكراسي ويتناولون طعامهم بكل فخر واعتزاز، وهذا هو عصر الجيل الجديد الحالي.

أما تموين الغذاء للأسرة، فإن الفلاح يسعى لتأمينه في الشتاء حتى لا تجوع أسرته حين ينتهي مواسم الزرع والحصاد. وأهم مخزونات المؤونة السنوية: القطين (وهو التين المجفف)، الزيتون (حباً وسائلاً)، المخللات، رب البندورة، رب الخروب، المربيات (مربى التفاح والمشمش والعنب والسفرجل)، الألبان والأجبان، السمن، ثم مؤونة القمح، وأحياناً مؤونة الكلس ويضعونها في التون عند المحاجر.

كان الفلاح في القرية همه الأكبر تأمين المؤونة لأسرته في الشتاء، إذ كان يجمع الحبوب (القمح والشعير) والتبن لعلف الحيوانات، إلى جانب جرار الزيتون. وغالباً ما خزنوا الزيت في خابية كبيرة تُدعى "الزلعة"، وهي مصنوعة من الفخار وتُطلى بالخزف الملون، ولها غطاء واسع للغرف من الزيت بسهولة. وكانوا يبنون في قاعة المؤونة حائطاً طويلاً أمام الحائط الأصلي لكنه أقصر ارتفاعاً، ويفصلونه إلى قسمين أو ثلاثة لخزن القمح والشعير والتبن. وفي نهاية كل خزنة توجد فتحة تُغلق وتُفتح عند الحاجة بصرة من قماش. كما يُبنى في العادة في بيت المؤونة قبل كل شيء أرضية المنامة للأسرة، وبشكل خاص في موسم البرد، إذ تنام الأسرة مع الحيوانات لأن نفس البقر والخيل تدفئ القاعة، بينما تكون أرضية النوم مرتفعة عن الأرض بقدر مستوى صدر الدابة، ويُضاف لها "المذمد" الذي توضع فيه عليقة الحيوان من علف (تبن وشعير). وتقوم المرأة عادة بتنظيف الأرضية من الروث كل صباح. كما يُخزن في بيت المؤونة دبس العنب والخروب (الرب)، والعسل، والمربيات، من تمور، وتين مجفف (قطين)، وعنب مجفف (زبيب).

الأصل والنسب: يؤمن الفلسطيني دائماً بالعقد الاجتماعي، ومفهوم هذا العقد شبيه بمفهوم العقد الاجتماعي الذي تأسس في دولة الإسلام الأولى في يثرب، إذ أفاض الإسلام أمة موحدة فوق القبائل ولم يلغ الرابطة القبلية، مع أن عقلية قوة العصبية القبلية تفسد على الأمة وحدتها.

والفلسطيني يؤمن بالحَمولة، ولكنه يؤمن بالقرية وعصبتها الموحدة، وكذلك بانتمائه إلى أمة العرب. ولم يفكر أي فلسطيني بعد زوال الدولة العثمانية أن يطالب بدولة فلسطينية، ولحد الآن يكره الإقليمية، وكل همه في وحدة العرب، لأن وحدتهم هي قوتهم وعزتهم، تحفظ حدودهم وخيراتهم وثقافاتهم وتعزز حاضرهم.

ومما يحز في النفس أسىً ولوعةً أن جماهير العرب في العقد الخامس من القرن العشرين هي نفسها أوضاع العرب الحاليين في القرن الواحد والعشرين، إن لم تكن أسوأ حقاً، بسبب تعزيز كراسي حكامها في دولها القطرية المقيتة. إذ كلما ازداد عددها ازدادوا فقراً، واضمحلت طموحات أبنائها لما يرونه من انطواء قادتها تحت أوامر أسيادهم الذين يعملون ليل نهار في تفكيك هذه الدول والسعي لتقسيمها وتقسيم المقسم.

إن الثورات العربية الحديثة، أراها تتداعى في تحقيق أهدافها إذا اعتمدت على الأجانب في مساعدتها في تغيير حالها البائس، وقد تحولت الثورات إلى هدم بيوتهم وثرواتهم بأيديهم دون دراسة ودراية وإعداد كل ما يلزم للنجاح.

ومن الأشراف طبقات في المجتمع الفلسطيني التقليدي التي كان لها شأن كبير فيما مضى، طبقة الأشراف التي تدعي أصولاً عربية أصيلة تتصل بآل البيت أو بصحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار ومواليهم. منهم آل الكيلاني المنتسبون إلى الحسين بن علي، وهم في يعبد ونابلس وسيلة الحارثية، وشيوخ المساعيد في غور الفارعة. ومن المنسوبين إلى الحسين بن علي آل الشرفا في قرية بيتا قضاء نابلس، وآل البسطامي في نابلس، وآل مريش في الخليل ونابلس. ومن الجعافرة آل الحنبلي، ومن آل عباس بن عبد المطلب.

ومن الأشراف في فلسطين أيضاً من يسمون "أشراف السيف"، وهم أمراء وشيوخ، ويميز هؤلاء عن الشعب بلباسهم الثياب الجديدة، وبإحاطتهم بالخدم والأتباع، وكل ما يميزهم عن غيرهم العتاد والخيل وسواس الخيل. ويأنف هؤلاء الحرف والمهن، إذ أن هذه حرف يدوية خالصة. ولهذه النزعة ما يقابلها لدى نبلاء الإقطاع في أوروبا في القرون الوسطى. من أشهر العائلات التي نالت شرف السيف: آل ماضي قضاء حيفا ومقرهم بلدة إجزم، وآل شبل شيوخ عكا ومركزهم في شفا عمرو(1) .

كنيسة القديس يوسف العامل الكاثوليكية في الرينة

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4 خاص، ص 669 – فكتور سحاب

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية

(التعليم – الآثار – الأعلام)

ظلت الشعوب العربية والتركية أربعة قرون تحت حكم الباب العالي في إسطنبول، والجهل والأمية يطغيان على الجميع. وكان هم السلطة جمع الأموال لخزينة الدولة عن طريق مريديها من الملتزمين والتجار والموظفين الكبار المحليين، وكان هؤلاء يرسلون أبناءهم إلى الآستانة للتعلم والتعليم. وفي منتصف القرن التاسع عشر، بدأت السلطة العثمانية تسعى لإقامة بعض المدارس في المدن والقرى في فلسطين. ولم نجد من الوثائق سوى ما كانت تصدره الحكومة من فرمانات تحدد إحصاءات لعدد السكان من الذكور وأعمارهم لأجل التجنيد والضرائب. وقد ورد في إحصاءاتهم عام 1886م حسب قوائم شوماخر: عدد السكان الذكور (بين سن 16–60) 120 خانة، وكل خانة تمثل خمسة أفراد، أي أن عدد السكان كان 1150 نسمة(1) .

وهناك مرسوم آخر حول المكاتب الابتدائية يقول بأن عدد الطلاب الذكور في العام الدراسي 1886/1885م هو 51 طالباً في قرية الرينة، إذ لم يكن للإناث حظ من التعليم(2) .

وكانت المدارس تقام في المساجد، إذ كان القادر من أهل قرية الرينة يرسل ابنه إلى مدينة عكا ليتعلم في المدرسة الأحمدية فيها بجامع الجزار. والمسيحيون يرسلون أبناءهم إلى المدارس التبشيرية في الناصرة وغيرها. والمقتدرون من ملاك الأراضي والتجار يبعثون أبناءهم للدراسات العليا إما إلى إسطنبول أو إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، لذلك كانت نسبتهم قليلة جداً لعدد السكان. وكانت الجامعة الأمريكية تدرس معظم العلوم مثل الآداب، واللغة العربية، والقانون للمحامين، وعلوم مثل الطب والفيزياء والكيمياء والمحاسبة وغيرها من الاختصاصات.

كانت الأسرة في المساء بعد تناول العشاء، يذهب الرجال إلى الديوان أو إلى بيوت الأصحاب لسماع أوضاع البلدة أو للعب الطاولة وغيرها. وباقي الأسرة من الزوجة وأبنائها وبناتها يجلسون حول الموقد في الشتاء أو حول جدران غرفة المعيشة المفروشة بالحصر أو السجاد أو بالقماش التالف المنسوج مجدداً ليأخذ مكان السجاد الغالي الثمن. كانوا يجلسون يستمعون إلى الراوي وهو يحكي القصص والمسلسلات من حكايات الزير سالم أو عنترة العبسي وألف ليلة وليلة، وكانت عندهم مثل المسلسلات التلفزيونية هذه الأيام. وكل هذا يحدث على ضوء السراج الذي يعمل بوقود الكاز (الكيروسين). وفي الحفلات كانوا يستخدمون "اللوكس" الذي يعمل بمادة السبيرتو. وكانت الأسرة تؤمن حياتها بما تملكه من طحين وزيت وزيتون حتى السمن والصابون، ومن لحوم البقر والغنم والدواجن والحمام وبيض وأفراخ دجاج. كلها كانت ثروات يؤمن بها مأكله ومشربه، أو يبيعها للمتجولين ليشتري ما هو بحاجة إليه من أحذية وقماش وملابس وسكر وأرز وكبريت.

وبعد الانتداب البريطاني، افتتحت مدرسة للإناث حتى الصف الخامس. وبعد الاحتلال الإسرائيلي للبلاد، بقيت البلدة تعلم أبناءها بعد المرحلة الابتدائية في مدارس مدينة الناصرة. ومع ذلك، فقد أقبل الأهالي على تعليم أبنائهم وبناتهم بكل شغف وإرادة حتى باتت الأمية تنقرض، وأصبح في البلدة المهندسون والأطباء بكل الاختصاصات، والمحامون، والخبراء، والفنيون، ورجال الأعمال، والحرفيون من مزارعين وحدادين ومنتجي مواد البناء وأصحاب الدواجن والألبان وأصحاب الماشية ومعامل البلاستيك وحفظ الفواكه والخضروات. وقد أتقن الحرفيون عملهم وصاروا خبراء في مهنهم. ومع توفر العمالة في بلدة الرينة، فإن البطالة متفشية بين الشباب والشابات لعوامل كثيرة منها على سبيل الحصر: ندرة الأراضي الزراعية التي حولتها السلطة إلى المستوطنين وحرمان أصحابها من استثمارها، وتطويق البلدة من كل أركانها بالمستعمرات، وتحديد البناء في البلدة وحصرها بيد السلطة التي تهدف إلى تطفيش الناس من بلدهم ومنح خيرات أملاكهم إلى المهاجرين الجدد، الذين لا يعلم أحد متى يتوقف هجومهم الظالم غير الشرعي بكل الشرائع والقوانين المحلية منها والعالمية. زد على ذلك أنهم لا يشغلون العرب في مشاريعهم، وذلك حسب أوامر السلطة المحتلة.

حتى سنة 1970، كانت في الرينة مدرسة ابتدائية واحدة وكانت غرفها مستأجرة. وبعد نضال مرير مع السلطات من قبل سكان البلدة، استطاع الأهل بناء مدرستين ابتدائيتين وذلك سنة 1970، وكانت معظم تكاليف البناء من قبل سكان البلدة الذين تطوعوا وتبرعوا لبناء المدرستين. وفي سنة 1978، بدأ بناء المدرسة الثانوية وبدأ العمل بها في نفس السنة، وكان المبادر لإقامة المدرسة الثانوية علي قاسم حمدان عثامنة، وكانت غرف التدريس غرفاً متنقلة. وخلال 5 سنوات، أصبحت هذه المدرسة من أفضل المدارس الثانوية العربية في إسرائيل. في عام 2021، كان هنالك 8 مدارس، 132 صفاً، و3,515 طالباً.

عائلات البلدة

إبراهيم، أبو حنا، حسن، خطبا، خليل، راشد، رزق، عرعوره، زيدان، سيدي، طاطور، عثامنة، أبو خضرة، أبو رحمون، إسماعيل، برانسي، بصول، الجيوسي، عرب السبارحة، جبران، العاصلة، الحشمة، الغرابا، فرح، المغاربة، الجزائريون، النواطحة، معمر، المناصرة، منصور، آل المستريحي، اليعقوبي وغيرهم.

أعلام البلدة

صالح خليل سكران

قانوني ومؤرخ ولد صالح خليل سكران عام 1895م، ودرس الابتدائية في قريته، وتابع دراسته في المدرسة البروتستانتية في بلدة الرينة. وفي عام 1914م هاجر إلى أمريكا حيث أقام في مدينة واشنطن. ولوحظ أن اسمه العربي غير مناسب ومألوف في محيطه الجديد، فاختار اسماً جديداً هو (فرانك شالس سكران). ومع بداية الحرب العالمية، انخرط فرانك في صفوف الجيش الأمريكي، وبعد انتهاء الحرب منحته السلطات الأميركية جنسيتها. وظل الرجل متمسكاً بقوميته عاشقاً لبلده فلسطين، فدرس المحاماة في جامعة جورج تاون في العاصمة الأميركية وحصل على درجة الدكتوراه، ليصبح أول عربي يمارس مهنة المحاماة في مكان رفيع في الحكومة الفدرالية الأميركية. وسع في فكره وتحركه، فألقى المحاضرات التي تبين الحق العربي وتظهر التزييف الصهيوني، ونشر مقالات في مجلة

(التاريخ الجاري) عام 1921. وفي عام 1930، نشرت له جريدة (واشنطن بوست) مقالة مطولة سرد فيها تاريخ فلسطين مؤكداً على حقوق العرب. ولم يمض وقت طويل على نشر تلك المقالة حتى قام اليهود بابتلاعها. وفي سنة 1921، تألفت جمعية عربية في الولايات المتحدة الأميركية باسم (العصبة الفلسطينية الوطنية)، فانتخب الدكتور فؤاد شطارة رئيساً لفرعها في نيويورك، والدكتور فرانك سكران رئيساً لفرعها في واشنطن.

الدكتور فهد أبو خضرة

ولد الدكتور فهد أبو خضرة عام 1308هـ – 1939م في قرية الرينة، وتلقى تعليمه الابتدائي في قريته والثانوي في مدينة الناصرة، وتابع دراساته العليا في الجامعة العبرية بالقدس ثم الدكتوراه عن أطروحته حول الشاعر العباسي (ابن المعتز). وعمل في التدريس في جامعة حيفا ومدرساً بدار المعلمين. كتب القصة التقليدية والشعر الحر.

من شعره:

الريح تلتهم الخرافات القديمة

والنسور تبقى على قمم الربى وكنانها

على دروب الصمت تمضي أمة

نذرت لأسباب الشتات لغاتها

من أعماله:

- الليل والحدود (رؤية)
- الناصرة 1962
- الزنبق والحروف (شعر)
- القدس 1972
- ابن المعتز (إنتاجه الأدبي) 1982
- البحث عن أجنحة (شعر) القدس 1977
- دراسات في الشعر 1989
- من أدبيات الانتفاضة (مع آخرين في رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين) الناصرة 1989

الشاعر الشعبي توفيق السعيد الريناوي

ولد توفيق سنة 1910، وقد أهّلته قريحته الشعرية أن يصبح من أشهر شعراء الزجل في فلسطين، إذ كان حاضر البديهة مبدعاً رخيم الصوت، يُستدعى لإقامة الأفراح في طول البلاد وعرضها. وتدرب على يديه زجالون آخرون من الرينة وغيرها. وكان يفاجئ نده، وكثيراً ما كان ينافسه أخوه أبو عاطف في المفاخرة أو المحاورة بأفكار جديدة. وقد عرفه الناس باستقامته ودماثة خلقه، وقد لخص نشاطه بقوله: "عامل الناس بلين تبقي لك صحاب". وظل يحث على طلب (العلم الذي هو أفضل كنوز الدنيا). مواقفه وقصائده الوطنية تشهد له.

الشيخ حسن علي حشمة

ولد عام 1907، وأبدع في فقه الدين. درس القرآن بتركيز، وكان متسامحاً يحب الغير، رؤوفاً بالحيوان والطيور، حريصاً على تزويدها بالأكل والشراب. وقد تعاطفت الطيور معه فتلازمه وتقف على كتفه. اتصف بالكرم ومد يد المعونة لمن يحتاجها. يلازم المسجد زاهداً متعبداً. وبعد وفاته، سمي مسجد البلدة باسمه.

إبراهيم حنا إبراهيم

ولد عام 1936، وتخرج في المدرسة الثانوية في الناصرة، وأكمل دراسته في معهد بتسلئيل للفنون في القدس ليكون أول عربي يتخرج من المعهد. اهتم بالرسوم وأبدع فيه، وتمكن من رسم المئات من اللوحات القيمة. اشترك في الكثير من المعارض في إسرائيل وفي الولايات المتحدة الأمريكية. أكمل دراسته في كلية الفنون في جامعة نيويورك وحصل على شهادة الماجستير في الفن التجريدي. وافته المنية في مدينة نيويورك ودفن في بلدته الرينة عام 1984. كان إنساناً متواضعاً أحب الحقيقة وعبر عنها في رسوماته المتنوعة، وأحب شعبه وحافظ على علاقته الطيبة والمتينة مع الشاعر الفلسطيني راشد حسين ابن قرية مصمص. أغلب إنتاجه الفني معروض في متحف مدينة روزنديل في ولاية نيويورك

الدكتور سليمان زعرور

ولد سنة 1955، وأنهى دراسة الطب في التخنيون في حيفا، ثم أكمل تخصصه في الأنف والأذن والحنجرة في مستشفى هداسا في القدس. يعتبر أول طبيب عربي في إسرائيل متخصصاً في الأنف والأذن والحنجرة. أقام ولا يزال يترأس أول قسم أنف وأذن وحنجرة وجراحة العنق والرأس في الوسط العربي في إسرائيل في المستشفى الفرنسي في الناصرة، والذي يعتبر من أنجح الأقسام في إسرائيل عامة، ليصبح مكان تخصص معترفاً به لخريجي كليات الطب. وله مساهمة كبيرة في خدمة المواطن العربي في البلاد. وقد تخرج تحت إشرافه أكثر من 90% من الأطباء العرب المتخصصين في الأنف والأذن والحنجرة حتى عام 2004. إذ اشترك في أبحاث علمية كثيرة بالتعاون مع كلية الطب في التخنيون، وهو أحد مؤسسي الجمعية الشرق أوسطية لمشاكل السمع.

البروفيسور سالم خميس

ولد عام 1918 في بلدته الرينة، درس في صفد وتابع دراسته في الكلية العربية في القدس ثم في الجامعة الأميركية في بيروت وانكلترا. اشتهر بأبحاثه في علم الإحصاء، وكانت له نظريات مشهورة من بينها نظرية "جيري خميس" في حساب سلة العملات، مما استدعاه إلى العديد من الدول ليقدم المشورة في الشؤون الاقتصادية. ترأس قسم الزراعة والغذاء في هيئة الأمم المتحدة، وله مساهمات كبيرة في هذا المجال. ونشط في الدفاع عن القضية الفلسطينية منذ أن ترأس اتحاد الطلاب العرب في إنكلترا.

الدكتور أسعد بصول

ولد في بلدة الرينة، وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية والحضارة الإسلامية. ألف كتباً ومقالات علمية، وكان من بينها كتاب "ألعاب الأطفال في فلسطين" والذي يروي فيه قصص الطفولة في فلسطين ليثبت كما ذكر المؤلف في الكتاب "الاستمرار الحضاري الطويل والجذور العميقة للشعب العربي الفلسطيني". عمل أستاذاً ورئيس دائرة الدراسات العربية في الكلية العربية الإسلامية في شيكاغو بولاية إلينوي في الولايات المتحدة الأمريكية.

حنا أبو حنا

ولد عام 1920، ودرس اللغة العربية في القدس، وصدر له العديد من المؤلفات الشعرية والأبحاث. وقد اهتم بالتراث الثقافي الفلسطيني وتوثيقه. كان مدير الكلية الأرثوذكسية العربية في حيفا، ومحاضراً في جامعة حيفا. في كتابه "ظل الغيمة" الذي حاز على جائزة فلسطين، تتمثل بلدته الرينة بأبعادها المختلفة حيث يروي ذكريات الطفولة وصباه. وهو المحرر المسؤول لمجلة "مواقف" الأدبية والثقافية، وهو عضو نشيط في العديد من المؤسسات الثقافية منها (مجمع اللغة العربية).

غادة بصول

من مواليد بلدة الرينة، وهي أول قاضية من الرينة تعمل قاضية في محكمة الصلح في مدينة العفولة منذ عام 2000. عملت قبلها ثلاث سنوات كقاضية مسجلة. تخرجت من كلية الحقوق في الجامعة العبرية عام 1988، وعملت محامية من عام 1990 حتى 1997. تعتز بأنها أول طالبة من الرينة درست الحقوق في الجامعة العبرية بالقدس، كما تعتز بهواياتها المطالعة حيث تقضي أغلب أوقاتها في قراءة الكتب. طموحاتها كبيرة في طلب العلم والمعرفة، واثقة من نفسها، تزن الأمور قبل البت فيها ولا تتسرع بأحكامها. وقد وصفها زميل لها بأنها "حليمة."

طارق محمود بصول

ولد طارق في بلدته الرينة. لم أعرفه ولم أعثر على دليل عنه سوى لمحة بسيطة كتبها عن بلدته يصفها بإيجاز تتضمن أعلاماً في الرينة. وبعد قراءة رسالته، شعرت وأنا أقرأها بما يلي:

- أنه مثقف مثلي يحمل نفس الاختصاص، تجمعنا خبرة العلم والمعرفة، يختزن في قلبه وحواسه حب الوطن فلسطين، يحتضن هذا الحب في صدره وجوانحه.
- إن حبه لوطنه وشعبه لم يأت من فراغ، بل جاء لما يراه من جمال الطبيعة في الأرض وتنوع تضاريسها من ساحل طويل وسهول خصبة وهضاب وجبال تتوسط فلسطين، تختزن المياه الجوفية في داخلها، ومنطقة الأغوار التي تنخفض 400 متر تحت مستوى سطح البحر وهي أخفضها.
- يحتل موقع فلسطين قلب العالم القديم (آسيا، إفريقيا، أوروبا). فهي عقدة المواصلات البرية بين هذه القارات، إنها ملتقى الشعوب ولقاء الحضارات القديمة.

الفصل الخامس

الموروث الثقافي والاجتماعي

(الطب الشعبي–الأمثال– التفاؤل والتشاؤم– ألعاب التعاون)

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه. والأمثلة كثيرة:

في المعتقدات: تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية) أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير، وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً مثل الطاووس، وثرثاراً كالقرد، أو نجساً كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

الثعبان: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة. ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.

الحرباء: غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق.

وأخبث الحشرات: أم أربعة وأربعين، إذ يُضرب بها المثل في المكر والخبث.

شجرة الرمان: المباركة، ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.

شجرة الزيتون: شجرة مبجلة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها. ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة، وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد "الله الله(2) ".

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون: "درهم وقاية خير من قنطار علاج."
- "عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقيح."
- "إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه."
- "كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر."

إن الطب الشعبي يلزم العلاج، وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وأدوات التشطيب لإخراج الدم الفاسد من كاسات الهواء، وفصد الدم من الوريد، أو مسمار كي. والقصب البري يجبر الكسور، وكذلك مزج الأعشاب كدواء. وللبثور، يستخدم زيت السيرج (زيت السمسم)، والقطران، والكبريت، وزيت الزيتون، والحناء المجبولة بالماء والطحينة. ويعالجون السعال بنبات البابونج، وحتى لإدرار البول يغلون الشعير والبقدونس. والرشح يدهنون الصدر بالزيت الحامي ويسقى المريض البابونج والزوفاء. وفي الإسهال، يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل. وللإمساك، ينقعون بذر الخلة في الماء ويشربونه.

العلاج الديني

طاسة الرعبة :وهي إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب، آية الكرسي أو المعوذات. ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس، ويسقى منه المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات ينقش عليها: "بإذن الله تشفي هذه الكأس من السموم". وبعض الكاسات توحي للأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برج حسب مولده، وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج، فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية، وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية. وإني أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيتي الشعر:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
وزنـوا عقرباً وقوساً بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان

الأمثال الشعبية

من الأمثال في الطعام: يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له. لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة بالطعام منها: "اعزم والزم والأكل نصيب". وأحياناً يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: "ما حدا يوكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو "زيد"، فيجيب: "أكلت اللي فيه نصيب". والأمثلة حول الطعام كثيرة منها على سبيل الإيجاز:

- "يلعن الشارب قبل الطالب" (أدب الانتظار).
- "غب غب الجمال وقم أول الرجال."
- "أطعم الفم تستحي العين."
- "إن غاب عنك السمن فعليك بالزيت" (للقناعة بالموجود).
- "الله يطعم الحمص للي مالوش سنان."
- "طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية."
- "اللي بدو يوكل عسل يصبر على قرص النحل."
- "اللي عنده قمح يقرضوه طحين."

المعتقدات الشعبية

في التقويم الشعبي (الجيد منه والمكروه من الحيوان):

إن الأقوال والأمثال الشعبية تُقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء. فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين، ويبدأ في 14 أيلول وهو عيد الصليب، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد. وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون "شراقي الصليب" أو "شراقي الخريف". وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة بين الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يُطلق المثل القائل: "أيلول طرفه مبلول". وإذا هطلت الأمطار يقولون: "الموسم بدري". إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي: "بتدور وما بتلاقي" أي لا خير فيها. ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها "شتوة المساطيح" لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب إذ ينشرونه حتى يجف. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء، كما يقولون: الأولى والثانية والثالثة (يوم فتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح) أي شتاء جديد في تفسير البعض. وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس: "ما لك صيفيات بعد الصليبيات". ويقولون: "إن أبرقت على الصليب ما بتغيب". وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر: "عند البرق الدنيا بتخبط". وأما إذا أبرقت وأرعدت: "زواريبها طرطقت". ويقولون عن المحاصيل: "متى صلبت خربت" أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم، فيقولون: "يودع العنب والتين السنة". وفي أكتوبر تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء. ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة: "في عيد لد شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد". أما أشهر كانون فهي "فحول الشتاء والأرض"، والفحول رمز الإخصاب، فيقولون: "بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل". ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها. أما شهر شباط فهو غير مستقر: "شباط الخباط ما عليه رباط". أما المستقرات فقد جاءت في قصة العجوز وغنّامتها، والقصة تقول: إنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول: "راح شباط ودسينا في عجزه المخباط". فغضب شباط وقال لأخيه آذار: "أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها" أي لم يبق للعجوز من الوقود ما تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعيش. أما أسعد ذابح، فقصته تقوم على: أربعة شبان يحملون بضاعتهم على أربعة جمال، وتعرضوا في طريقهم لموجة برد قاسية فمات ثلاثة وبقي الرابع، فقام يذبح ناقته وسحب ما في جوفها ونام داخلها ونجا، ولذلك يقولون: "أسعد ذابح."

أما الربيع فهو فصل العشب، يبقى أسير "المربعينية". وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثامن والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام.

ومن الألعاب التي اعتاد القرويون ممارستها وما أكثرها:

1) **لعبة الطابة** :تُصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتُخاط، ثم يأخذها الأولاد ويحمل كل منهم عصاً طويلة، ويتنافسون على سحب الكرة إلى المرمى وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.

2) **لعبة الغميضة**:تتم القرعة على من يبدأ اللعب، وتُعصب عينيه، وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به (لعبة الغمامة).

3) **لعبة العصا والعصاة**: تُثبت عصا في ثقب حجر ثقيل، ومن يستطيع ضرب العصا المثبتة فيكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.

4) **لعبة البرش الرواح**: وهي لعبة متطورة، تُؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب، واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية، يقذف حامل الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة في الجو وعليه الركض ليمسك بها. وهذه كانت لعبة الكبار.

5) **لعبة القفز العرضاني**: وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب، يتنافس الأولاد بالقفز، ومن يزداد طولاً في قفزته يكون الفائز.

6) **مسابقات الركض**: وهي السائدة بين اللعب، ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.

7) **القفز العالي**: يُمد حبل بين عمودين بارتفاع معين، فإن كان الولد عمره ست سنوات يُثبت الحبل على ارتفاع 30 سم، وإن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي، فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.

8) **لعبة المنّة**: وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (20-30 سم) على حجر بشكل مائل، ثلثه بارز للأعلى، ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس، وإذا التقطه هذا الفريق صارت اللعبة لهم.

9) **لعبة المنقلة**: يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين. وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40-50 سم، محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين، كل صف سبع حفر، ويوضع في كل حفرة 7 حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول. ويبدأ اللعب عادة الكبير في السن، إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار إلى اليمين. وعندما ينتهي، يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته ويوزعها هو الآخر ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق. وهكذا، عندما يوزع الحبات، إذا كانت آخر حبة في الحفرة التي تحتوي على حبة واحدة فيربحها أي يأخذ الحبتين. وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات أيضاً يربح أربع حبات. أما إذا كان أكثر من جوز أو أربع فلا يربح. ويستمر اللعب حتى لا تبقى أية حبة في الحفرة، وعندها ينتهي اللعب.

وفي الأعياد، يذهب الأطفال إلى المراجيح بأنواعها، ويشاهدون مراكز عرض الصور عن طريق صندوق العجائب، أو الكراكوزاتي، أو الحاوي لاعب السحر، أو الذهاب إلى المدينة للتدرب على النيشان ببارود الخردق، أو استئجار الدراجات وغيرها من الألعاب المتوفرة. أما هذه الأيام، فإن ألعاب الفيديو المتعددة والجوال المتنوع الأهداف يشغل الناس كبيرهم وصغيرهم، ويأخذ الوقت الكبير من نشاطاتهم، ويحولهم إلى عوالم أخرى تستنفذ أوقاتهم وتستهلك نفقاتهم، وتلهيهم عن الأكل والشرب في كثير من الأحيان، وتضعف أجسامهم التي حرمت من اللعب والمرح والرياضة، وتلهيهم في كثير من المرات عن تأدية واجباتهم المدرسية، حتى كاد (الآي فون) أن يخدر عقولهم وأحاسيسهم رغم المنافع التي يكتسبها العاقلون من المستخدمين.

التعاون: هناك عادات التعاون في الزراعة في حراثة الأرض وبذر البذور أو زرع الأشتال وجمع الثمار (الزيتون) والحصاد وجمع الإنتاج ونقله إلى البيدر أو المعصرة للزيتون. وتتجلى فكرة تعاون أهل الرينة بالتعاون أثناء الأفراح والأتراح والحرائق ومصائب الطبيعة، فتراهم عند الزواج يشاركون أهل العريس والعروس بكل جوارحهم، يخففون عنهم الحمل الثقيل. وكذلك بالأتراح والمصائب يشاركون أهلها بالأسى والحزن. إن العقد الاجتماعي في القرية كبير قوي عميق، وبشكل خاص في الماضي القريب، بينما أخذت تقل هذه الأيام وتحولت المراسيم إلى صالات من بناء واسع كبير مجهز بالطاولات والكراسي تزينه الورود والكهرباء وساحات الرقص في الأفراح، تقدم فيه أطباق الطعام والحلويات والفواكه. وفي الأتراح، تكون القاعة واسعة أيضاً معممة بالسواد مليئة بالكراسي للمعزين من أهل القرية وغيرها. كانت الأخبار تنتقل في السابق إلى سكان القرية عن طريق الجامع والكنيسة أو نقلها إلى الآخرين عن طريق الأفراد، ولم تمض ساعة أو ساعتين حتى يصل الخبر إلى الجميع. بينما في الوقت الحاضر، يصل الخبر إلى كل أهل القرية خلال ثوان عن طريق الخلوي.

التعاون في الأبنية: جرت العادة في معظم قرى فلسطين مساعدة البنّاء في سقف البناء عن طريق قيام شباب القرية أو بعضهم بمساعدة باني البيت عند "شقفه" (الطوبار). وذلك بخلط الرمل والكلس مع الإسمنت لإعداد "الجبلة"، ثم نقلها على أكتافهم بتسلق السلالم المتعددة إلى سطح البناء، وهنا يفرغون الخلطة إن كانت خلطة (إسمنت ورمل) أو أسمنت وكلس و(إسمنت أو طين مخلوط بالتبن) (سيقان الحنطة والشعير). وإذا كان سقف البيت بشكل قبة، ينتظرون البناء ليضع آخر حجر في القبة، وهنا تبدأ الأغاني والزغاريد والتكبيرات. بعدها، يقوم الشباب بنقل التراب والبحص والحجارة المحمولة لردم فجوات القبة حتى تتساوى مع السطح، ثم تُغطى بطبقة من الرمل والإسمنت، وتُسلط على فتحة ينزل منها مزراب ينقل الماء عن السطح إلى أسفل ليصب في بئر معد لخزن ماء الأمطار ليستخدم في الصيف في التنظيف أو سقاية الماشية والحيوانات الأخرى. في كثير من الأحيان، كانت تذبح ذبيحة وتُطبخ للعاملين عرفاناً وتقديراً لمساعيهم الحميدة.

وفي الأتراح، يحاول أهل البلدة التفريج عن المصابين بمواساتهم ودعوتهم للطعام أو مساعدتهم في الإكساء أو المال ومواد المؤونة وما أكثرها.

هذا قليل من كثير ذكرته من عوامل التعاون في القرية.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2 خاص – أحمد طربين.

(2) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4 خاص – فكتور سحاب.

(3) بلادنا فلسطين، مجلد 1 – مصطفى الدباغ.

(4) الموسوعة الحرة – ويكيبيديا.

الفصل السادس

بنية المنازل والأدوات المستخدمة

(السكن– الديوان– أدوات الطعام)

يسعى الإنسان منذ وجوده إلى تأمين المسكن لأسرته وعياله ثم عشيرته. وقد تطورت الأبنية، وفي المثل: "إن الإنسان ابن بيئته". والعوامل الطبيعية من أرض ومناخ ومياه وتربة وأشجار وغيرها تساعد البشر على اختيار مساكنهم(1) .

والسكن يختلف بوجود الحجر والمواد المتوفرة لبنائه، فأبنية جبل العرب في سورية هي من حجر البازلت الأسود. ولما كان الشجر معدوماً، استعاض الناس بالحجر في سقف منازلهم. كما أن أهالي دمشق بنوا بيوتهم بالطين والخشب لوفرة أشجار الحور، كما رفعوا بيوتهم بأكثر من طابق. بينما في مناطق سكنية شمال حماة، لم يجدوا في مناطقهم الحجر والخشب، فبنوا مساكنهم بالطين فقط بشكل قباب(1) .

ولما كانت منطقة الجليل كلها واقعة في السهل والجبل، تعج بالينابيع ومناخها مساعد للسكن، فقد استثمر البشر هذه الميزة في بناء مساكنهم وأبدعوا في البناء. لذلك نرى بيوت الناس في هذه البلدة تجلب النظر بحجارتها البيضاء الناصعة. وإلى جانب السقوف الخشبية، نرى السقوف المعقودة بشكل القبة، وهي الأبنية القديمة التي كانت شائعة قبل وجود الإسمنت والحديد. وكانت البيوت تبنى بشكل عشوائي لا نظام لها، والطرق ضيقة لا تسمح إلا لشخص أو ثلاثة أشخاص بالمرور فيها، وذلك لأمور أمنية، إذ يتعذر على الغزاة دخول القرية بسهولة على خيولهم، ويلاقي الفارس مقاومة لا يقدر عليها، كما تساعد ملاصقة البيوت في ذلك.

يغلب على بناء بيوت الرينة الحجر الكلسي الأبيض الناصع، القديم منها على شكل سقوف معقودة تثبت بملاط من الطين والتبن، وبعضها بسقوف من الخشب تغطيها طبقة من الطين أيضاً أو الرمل والكلس أحياناً. بينما البيوت الحديثة مبنية من الحجر الكلسي الأبيض المصقول المنمّق منه والمصقول كالرخام. وقد كثرت ورشات قطع الأحجار وتنوعت أغراضها بالصقل والتلميع، وكثرت المكالس (صناعة حجر الكلس) وصارت كالرخام. ويعتبر كادر عمال البناء أكثرهم عدداً في البلدة. كما أن أسقف بيوت البلدة تُوّجت بالقرميد لتعطيها جمالاً ورونقاً يبهر الأبصار. وبعد أن اختار أهل البلدة مجلس البلدية، بدأ المجلس يقوم على تقديم البنية الأساسية للبلدة من تنظيم الأبنية، وبناء الطرق المعبدة والشوارع المنظمة والساحات العامة، ومد شبكات الكهرباء والماء، والحفاظ على الأحراش، وتقديم الخدمات لسكان البلدة، والإشراف على التعليم والمواصلات والأمن، والعمل على مشاريع تحسينية لصالح أهل البلد.

الديوان

ينتقل رئيس العشيرة هو ومجلس العشيرة إلى خيمة هي الأكبر والأوسع. وإذا كان بيت الشعر مؤلفاً من قماش صوف يُصنع من شعر الماعز، بما فيها الحبال التي تُثبت بها الخيمة بقوائم مغروسة بقوة في الأرض على الجوانب، وأعمدة تحتل وسط الخيمة ترفع عليها

الخيمة، كما تُفصل الحواجز في الخيمة الكبيرة الواسعة إلى غرف منفصلة للنوم والطبخ والغسيل وغيرها. ويجتمع في الديوان أفراد العشيرة وشيوخها لبحث أمور العشيرة الأمنية والمعاشية وعلاقاتها مع جيرانها، كما يقوم الديوان باستقبال الضيوف والأغراب، فهو بالنسبة لهم مقر ضيافة.

وبعد أن مارس الناس الزراعة والاستقرار، تغير وضع الديوان شكلاً ومضموناً، وتحول الديوان من بيت شعر متنقل إلى بناء من حجر وسقفه معقود بشكل قبة واسعة المساحة، يصلح لإيواء الوافدين بما فيها إقامتهم ومنامهم. أرضه مفروشة بالحصر أو البسط من صوف وقطن، تحيط جوانبه الفرش والوسائد والمساند، يجلس عليها النزلاء والحاضرون من أهل البلدة. وفي وسط الديوان يوجد "المنقل"، وهو إناء نحاسي في العادة يستخدم في إعداد القهوة للضيوف، عليه ثلاثة أباريق بأحجام مختلفة تُصفى بها القهوة عند تصنيعها، وتوقد النار تحتها بالفحم، ويظل الموقد ساخناً طيلة اليوم. كما يوجد "جرن القهوة"، وهو عبارة عن جذع شجرة ارتفاعه 40 سم وقطره 30 سم مجوف في الوسط، توضع فيه القهوة بعد تحميصها وتُدق بواسطة "المهباش" (وهو قطعة خشب طويلة سمكها قبضة يد الرجل مزينة مزخرفة، يستخدمها الرجل ويدق بها القهوة داخل الجرن ويتفنن بالإيقاع كنغمات موسيقية).

ويلعب الديوان دوراً بارزاً في نشاطات السكان في القرية من حل مشاكل، ودراسات المحاصيل الزراعية وإنتاجها وتسويقها، كما يدرسون النواحي التعليمية وعلاقتها في تطوير القرية وتحسين مرافقها وإنشاء شبكات الماء والكهرباء والهاتف، هذا إن لم يكن في القرية مجلس محلي. والديوان مضافة للأغراب والوافدين يمضون فيه فترة راحتهم من أكل ونوم وحفاوة وتكريم لا تزيد عن ثلاثة أيام في العادة. تُحل في الديوان مشاكل الناس وما أكثرها، ويقوم بذلك زعماء القرية والمسنون منهم. وقد شهدت يوماً محاكمة شاب أشعل النار بعشرين شجرة زيتون لأناس أغروه بالمال ليقوم بعملته، وتحت التعذيب بالفلقة اعترف بجريمته، وكادت الحادثة تودي بمجزرة. وقد تولى مجلس الديوان تهدئة الأمور والاتصال بالمحرضين خفية بتعويض المجني عليه، إما بمنحه بدل زيتوناته المحروقة ثمنها، أو بزيتونات مثلها، على أن لا يدري أحد. وهذا ما حصل، رأيته بأم عيني(4) .

ويوظف الديوان في ساعات الفراغ في التسلية في بعض الألعاب مثل الطاولة والضامة والورق وغيرها من التسليات التي تعوض الذهاب للمقاهي. وقد تستخدم الدواوين لسماع الحكواتي وهو يسرد القصص للحاضرين ويمتعهم بالحكايات المتنوعة الحقيقية منها والخيالية. وإلى جانب الديوان، كان مختار بلدة الرينة يقوم ببعض المهام مثل الأحوال المدنية من ولادات وأموات وحصر الزواج، مندوباً عن دوائر الأحوال المدنية لمدينته. وفي بعض القرى كثيرة السكان، كان هناك أكثر من مختار، ولكل واحد منهم ديوانه الخاص في بيته، وله راتب بسيط أجر عمله. وكان على مختار القرية أو البلدة ثم المدينة، في عهد الانتداب البريطاني، تبعات التبليغ عن الأمن لسلطات الانتداب. وهذه المهمة لم تكن مرغوباً فيها لدى رجال الثورة في كل فلسطين، وكان أغلب المخاتير ينحازون للثوار في التخطيط والتمويل ونقل الأخبار، بينما البعض القليل منهم والمتعاون مع العدو كان عرضة للتصفية من قبل الثوار.

أدوات البيوت والطعام

- **العنب** :تشتهر به بلدة الرينة بكرومها الواسعة الممتدة.

- **حجر الزيتون** :ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الرينة. تُجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني. وكانت تُستخدم الطرق القديمة بضرب أغصان الزيتون لإنزال الثمار بواسطة العصي الطويلة، ويؤخذ ثمر الزيتون ويُجمع في أوعية خاصة ويُنقل إلى المعاصر. وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وحجر كبير دائري، وكل الدولاب يديره حيوان. ويُعبأ الزيتون بعد هرسه في "قُفَف" مصنوعة من سيقان نبات القصب على شكل دواليب، وتوضع القُفَف بعد ملئها بالزيتون المهروس بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين، فيضغط اللولب على القُفَف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل (بئر) وتُسمى (البدود). ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز). ثم تُجمع في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام في أوانٍ فخارية كبيرة الحجم تُدعى (الزلعة) أو في جرار، وأغلبها يُطلى بطبقة من البورسلان. معاصر حديثة إلى جانب القديم منها.
- **السكين** :ويُقال لها (خوصة) في بعض قرى حيفا وجنين وفي بعض الألوية(4) .
- **الملعقة** :ويُقال عنها (زلفة) في قضاء حيفا ووسط فلسطين، وهي تكون من خشب أو من نحاس ومعادن أخرى.
- **الصحن** :ويُقال عنه "ستية" في قضاء حيفا وأكثر ألوية فلسطين.
- **الشوكة** :منها الخشب ومنها المعدن، ويظل اسمها شوكة عند الجميع.
- **طنجرة** :وهو وعاء الطبخ المعروف عند الجميع، مصنوعة من الفخار أو المعدن (ألمنيوم أو نحاس أو ستانلس ستيل) هذه الأيام.
- **مقلاة** :وهي أداة معدنية مثل الصحن ولها يد طويلة، مقبضها من الخشب، مختلفة الأحجام، شائعة عند السكان كلهم.
- **اللجن** :إناء واسع مستدير يوضع فيه الماء، وهو على أحجام مختلفة، يُستخدم لغسيل الثياب وعجين الطحين، وإذا كان كبير الحجم يُستعمل كحمام.
- **الدست** :وهو إناء كبير الحجم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، يُستخدم في سلق القمح لإنتاج البرغل، كما يُستعمل في صنع رب البندورة أو رب الخروب والمشمش وجميع المربيات الأخرى.

ومن عادة النسوة في قرى قضاء عكا، في أوقات فراغهن، العمل بالأشغال اليدوية مثل شغل أطباق القش من سيقان القمح والشعير. كما كن يشغلن القبعة والترويجة والمشكول، ويلونن القش بألوان متعددة. أما الطبق، فهو دائري الشكل على مستويات كبيرة أو وسط وآخر صغير. تقوم النسوة بصنعه بلف حزمة من عروق ساق سنبلة القمح أو الشعير بقدر ثمانية أو عشرة سيقان معاً، ثم تُقمط الحزمة بساق أو اثنين وتُلف الحزمة بشدة. وهكذا تواصل النسوة وصل اللفة الأولى بالثانية عن طريق المخرز الذي يُدعى "المسلة"، حتى ينتهي الطبق. وكان يُستغل هذا الإنتاج في وضع الطعام عليه، وتلتف الأسرة حوله لتناول الطعام. وبعض الناس يعلقونه على الحيطان ديكوراً للجدران. ويكون عادة بمثابة طاولة السفرة في هذه الأيام، منه كبير الحجم ومنه الصغير.

أما القبعة، فهي بمثابة طنجرة من القش تتسع إلى 2-5 كغ من القمح. والمشكول عبارة عن سلة لها يد توضع فيها المرأة ويسهل حملها، وتمثل حقيبة النساء هذه الأيام. والترويجة كانت توضع فيها خميرة العجنة التالية وهكذا. وفي بعض قرى حيفا أيضاً، كانت بعض النسوة يعملن في السنارة. والصوف والكنزات واللفحات والقبعات، ومن الإبرة التطريز على القماش، ولكن ليس بجودة التطريز في رام الله وبيت لحم.

وقد تطورت أدوات الطبخ هذه الأيام كثيراً، وكلما تطورت الطاقة تبدلت الأدوات وأصبحت تناسب البيوت من حيث الجودة وحسن الاستخدام وسرعة الإنجاز وتوفير الوقت ورحمة للإناث في تأمين الطعام من الخبز والطبخ والغسيل والجلي والكوي وغيرها الكثير. إذ تحولت تربية الحيوانات والطيور من البيوت إلى المزارع التي أصبحت ورشات عمل تضم العديد من العمال لتوفير الخدمات من تهوية العنابر وتنظيفها من روث ومخلفات غير مرغوب فيها، لتُجمع في أماكن خاصة تُحولها إلى سماد يُباع في المحلات. كما يُجمع البيض بكميات ضخمة، يُرتب ويُصنف ويوضع في كرتون مجوف من الورق والبلاستيك ويُباع في الأسواق. وكذلك لحوم الدجاج تُنظف بعد ذبحها وتوضع في أكياس من البلاستيك بأحجامها، أو تُقطع وتوضع في أوانٍ بلاستيكية(5) .

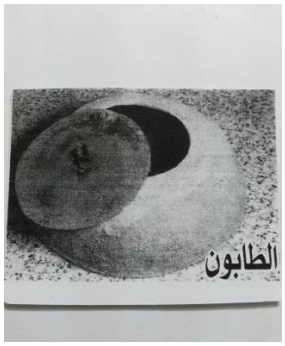

أما الألبان، فقد أصبحت المواشي من أبقار وأغنام في مزارعها الخاصة من أبنية عنابر مزودة بمذاود خاصة بارتفاع صدر الحيوان، توضع فيها العليقة من حبوب ومكونات غذائية أخرى، وأخرى للماء تشربه الحيوانات. كما تزود الحظيرة بمعدات الحلب في المزارع الكبيرة. ويُستخرج من الحليب اللبن المائع ويُقال عنه "لبن رايب"، أو يُصفى ليصبح جامداً ويُقال له (لبنة)، كما تُستخرج الزبدة والسمنة والجبنة. وهذه المواد تلعب دوراً أساسياً في حياة الناس في البلدة من غذاء ومال.

لقد حلت الأفران التي تدار بأجهزة كهربائية وميكانيكية محل الطوابين والتنور وخبز الصاج. كما تقوم البرادات وأجهزة المطبخ من تنظيف صحون وعصارات ومطاحن وخلاطات وسخانات قهوة وشاي وفرامات لحمة، حتى الخضار والفواكه باتت جاهزة للأكل بعد شرائها من (المول) والتجمعات التجارية الأخرى.

المراجع:

(1) السكن والمساكن – الدكتور أنور نعمان
(2) مركز يافا للإحصاء – يافا عام 1990
(3) الموسوعة الفلسطينية خاص – مجلد 4 – فكتور سحاب
(4) الفولكلور الفلسطيني – مجلد 2 – نمر سرحان
(5) الموسوعة الفلسطينية خاص – مجلد 4 – فكتور سحاب

الفصل السابع

الأفراح (الزواج ومراسيمه)

يرافقها من سلوكيات مختلفة بعض الشيء.

تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بابنها، ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين)، يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً. وتبدأ الخطوات بالخطبة، وتتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد أهمها الأفراح:

الخطبة

من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف. وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرى العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها، لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. وفي بعض الأحيان، يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة. ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تُقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً، ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها. وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة، بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتمتدح بخصائل العائلة والمجتمع، ويكون الحديث طويلاً حقاً كما وجدته في عمان مثلاً. وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبو طالب حين خطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءة وأمانة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك. وما أحببتم من الصداق فعلي". ويتم العطاء وتُقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً. وعندها تسمع النساء الموافقة، فتأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويُقدم الشراب. ومن الأغنيات التي تُقال:

"ع الزنزلخت ع الزنزلخت ... ريتك يا حلوة من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختي ... بدك مصاري بدفع مليونا"

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

"على دلعونا يا مدلعنية ... وصاروا يطلبوا في البنت مية صاح العزابي يابيي ... منين مصاري أجيب المزيونة"

التحضير للزواج

يدفع الشاب مهر عروسه حسب الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره. وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج، تُنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة في صناديق وصواني وأطباق وبُقَج، وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج

تُقام السهرات ويُقال لها "التعليلة" وذلك مساء كل يوم، ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام. وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس، تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس. ينهمك أهل العريس وأقرباؤهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر، تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل، وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تُحل مشاكل وتوثق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها أغنيات بقولهن:

"يا محمرة يا مبودرة ... وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانة ما أطلع ... إلا الحامولة حاضرة"

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس

عنتر عبس عريستا

عريسنا ابن الكرام

ابن العريس عريسنا

عريسنا زين الشباب

زين الشباب عريسنا

والي يعادينا بنذبحه

ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويُحلى ظهر الحصان بالقلائد والحلي، وأغلبها من الذهب الخالص (1) والزخرف، ويُجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره. وكذلك الحال لحصان العروس. ومن الزغاريد التي تُحي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

"إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا

إيه ويها ولا تشمت بنا شامت إيه ويها حنا إن رحلنا

جعلناك الدلو

إيه ويها وحنا إن نزلنا

جعلنا بيتك الغالي"

العتابا:

تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية، وتُستخدم للفخر والمديح. وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية التي حفلت بها الأغاني. وفي كثير من الأحيان، تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة، وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضي

بقلبي ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن

ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

"يا طولك طول عود الزان لو مال

يا شعرك حير الجدال لو مال

بوكي لا قبل فضة ولا مال

أكيف الرأي عندك والجواب"

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة، وكل منها معانيه ولحنه. منها:

زريف الطول ودلعونا :ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره، فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول:

"يا زريف الطول يا أم السن الضحوك

يلي رابية بدلال أمك وأبوك يوم جانا خبر أنهم خطبوك

شعر راسي شاب وظهري انكسر"

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

"على دلعونا على دلعونا

نسم يا هوا الغربي الحنونا بالله إن متت ياما اقبروني

بأرض بلادي بفي الزيتونا"

الغزيل :وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر، وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة بينما تختلف قافية الشطر الرابع والأخير، وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة "أهلاً."

"يا غزيل يا بو الهيبا

يا غادي يا معذبا زرتونا وشرفتونا

أهلاً وسهلاً ومرحبا"

وفي الأعراس، تُقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم. وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال فينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول، ويتبارَيان في الأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة. على سبيل المثال، يتناول الشعر السمراء

والبيضاء، وينتصر الرجال لأي فريق. وفي كثير من الحالات، يؤيد الجميع الأفضل. وفي حالات كثيرة، تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

البيضاء:

"قالت البيضا اسم الله علينا ... يا ورد مفتح حوالينا يلي سافرتو عودوا الينا ... لا تطيلوا الجفا تزيد الهموما"

السمراء:

"قالت السمرا واحنا الهرايس ... واحنا المحارم بيد العرايس روحي يا بيضا بالبن ما يص ... واللي بيهواك يصبح مجنونا"

ترد البيضاء:

"يا ماخذ السمرا ويش بدك فيها ... يا رمل البحر تنو يجليها في البير الخارب ووالله ارميها ... وأحكم عليها حكم فرعونا"

أبو الزلف:

هي أغاني الدبكة، تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

"عالعين يا بو الزلف

عين الزلف ليا قلبي جريح الهوا

وانتي الدوا ليا جفرا ويا هالربع

عالبير نشالي وزنرا بالطقم

فوق للطقم شالي"

ولادة المرأة

عندما تلد المرأة، تخرج القابلة لإعلان النبأ. فإن كان المولود ذكراً، تُعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها:

"إيه ويها جابت وقامت ... إيه ويها وع فراشها ما نامت إيه ويها ولك الحمد يا رب ... إيه ويها وما تشمت فيها شامت"

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

"إيه ويها يا بلبل على الشجر

إيه ويها عيش واكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا

إيه ويها ومانال إلا اللي صير"

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود أذكراً أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

"إيه ويها وقفت حمامتنا

إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي

إلا بسلامة حبيبتنا"

تنويم الطفل:

تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة، وتأخذ بالغناء ويُدعى هدهدة:

"نامت عيونك ... وعيون الحق ما نامت وما ظلت شدة ... على مخلوق ودامت"

ويقولون أيضاً:

"هللي له يا حمامة ... هللي له تينام وافرشيله الأخضر ... والوساید وريش النعام"

ترقيص الطفل:

وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية كالتالي:

"ميمته يا ميمته ... ياربي تخليه وتخليه لمويمته ... وتكحلو عينيه وإن شاء الله بيكبر ... ويحميي هالشباب ويحمل على جنبه ... سيف وجراب وشبرية"

أغاني الختان: وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة. غير أن هناك أغانٍ بهذه المناسبة تتكرر مثل:

"طهروا يا شلبي وناولو لأمه ... يا دموعه الغالية نزلت ع كمو ومطهريا مطهر امسح بالشفرة ... لا توجعلي رياض ابن الإمرا"

اللعب مع الغناء:

تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل. وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب منها مثلاً:

"يامنيمسه يامنيمسه ... يا حبة القريمشة

بعثتني معلمتي ... اشتري راس البصل

وقع مني وانكسر ... بوق بوق

يا أم الحلق والدبوس ... قيمي إيدك يا كبيري يا عروس"

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره. تقوم الأم بينما تلف يدها حول رقبته فيقول الأب: "أنو فوقي"، ويرد الطفل: "عبد الطوقي". الأب: "شو بدو"، يرد الطفل: "حمص مقلي"، وينزل الأب طفله قائلاً: "طيح نقي."

أغاني الشتاء:

يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر، ويقولون:

"شتي يا دنيا شتي ... على صلعة ستي

ستي جابت صبي ... سمته عبد النبي

حطته بالطنجرة ... طلع صحن مجدرة

حطته بالبير ... طلع راسه كبير"

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

"شتي وزيدي ... بيتنا حديدي

عمنا عبدالله ... كسر الجرة

شتي وزيدي ... على طريق سيدي

سيدي بالمغارة ... ذبح قطة وفارة سيدي في البرية ... بيطبخ لبنية"

وهناك أغنية بالأعياد:

"بكرة العيد بنعيد ... بنذبح بقرة السيد والسيد ما له بقرة ... بنذبح بنته ها الشقرة"

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

"يا طيور طايرة ... يا مراكب سايرة سلمي ع أمي وابي ... وقولي جبينة راعية ترعى غنم ترعى سخول ... وتقيل تحت الدالية"

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف).

ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

"هز التين يا وروار ... بعده التين ما نور ما نور إلا الزيتون ... يا زيتون إحمل ليمون"

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

"طاق طاق طاقية ... رن رن يا جرس ... حول واركب على الفرس"

لعبة الدائرة مع القفز:

تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات، أيديهن فوق أكتاف بعض، ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

"إحنا الثلاثة سوا ... مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة ... وحدة صغيرة

وحدة طويلة ... وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا"

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث:

- **لعب البنات** :لعبة الإكس (الحيز)، والزقطة (القّال)، والغمّاية (الطميمة)، والخويتمة (الخاتم والأصبع)، ونط الحبل، ولعبة الخمسات.

- **لعب الذكور** :كسر البيض، البنانير (الدحل)، لعبة الكورة، لعبة المِنّة، لعبة الغزة (توضع عصا مثبتة في ثقب حجر ويتبادل الأولاد ضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز)، لعبة كرة القدم، وسباق الركض، والسحاسيل.

الصيد:

كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد، حتى كان البعض منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل النقيفة أو بالفخ، أو بالدبق، أو بالشبك، أو بالفخاخ، وجمع الفراخ من أعشاشها. وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية، ويُطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4 خاص – فكتور سحاب وسليم سحاب.
(2) الفولكلور الفلسطيني الشعبي، مجلد 2 – نمر سرحان.
(3) الموسوعة الفلسطينية – ويكيبيديا.

الفصل الثامن

ثقافة المقاومة السلمية

اتحدت الفصائل الفلسطينية للمقاومة عام 1972 وشكلت تجمعاً للسينما سمته (جماعة السينما الفلسطينية)، وركزت على صناعة السينما الفلسطينية وتأسيس أرشيف يذيع الأفلام المنتجة. كان باكورة أعمالها فيلم (مشاهد من الاحتلال في غزة) إذ يتحدث الفيلم عن الإرهاب (1) الممارس بحق المواطنين الفلسطينيين في غزة. لكن مع الأسف، لقد فشلت هذه المجموعة في النجاح لإهمال المسؤولين في القيادات هذا السلاح وعدم تحمسهم له. في عام 1952، زاد عدد الأفلام الفلسطينية، وكان عددها 50 فيلماً حاز بعضها على جوائز هامة في مهرجان السينما الدولي. من البديهي القول إن المضاعفات الرئيسة لهذه الأفلام البارزة التي وظفها المنتجون السينمائيون في أفلامهم الجديدة مثل (تل الزعتر) إخراج مصطفى أبو علي عام 1977، وفيلم (عدوان صهيوني) لنفس المخرج عام 1973، ثم فيلم الانتفاضة من إخراج رفيق النجار عام 1974. من التجارب الهامة في مسيرة السينما الفلسطينية تجربة فيلمي (يوم الأرض) و(وطن الأسلاك الشائكة)، وهما الفيلمان اللذان يقدمان لأول مرة مادة من داخل الأرض المحتلة، صورتا خصيصاً من قبل سينمائيين مناضلين من أوروبا لتعذر دخول سينمائيين عرب في ظل الاحتلال.

هناك عوامل كثيرة أعاقت النشاط السينمائي الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948، منها عوامل اقتصادية وعوامل سياسية. إلى أن جاءت الأنباء عن تجربة سينمائية للمخرج ميشيل خليفي الفلسطيني، وهو فيلم (صور من ذكريات خصبة) عام 1980. إن عرض هذا الفيلم أثار ضجة في الأوساط السينمائية العالمية. الفنان هو من مدينة الناصرة، درس السينما في بروكسل (بلجيكا)، وقد أقدم بعد تخرجه على مغامرة إخراج فيلم كإنتاج مشترك بين شركته الخاصة التي أسسها في بروكسل والتلفزيون البلجيكي. وقد تم تصوير مشاهد هذا الفيلم التسجيلي الطويل في الأرض المحتلة عام 1948 وفي أراضي الضفة الغربية المحتلة عام 1967، بالذات في الناصرة ورام الله ونابلس. في عام 1985، عاد ميشيل خليفي من جديد إلى أرض فلسطين ليصدر فيلمه الوثائقي (معلول تحتفل بدمارها).

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دوراً رائداً في مقاومة الطامعين بأرض العرب، وبشكل خاص فلسطين. وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني، وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة، وانخرط نشاطهم في وحدة العرب. وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب، فقوتهم بوحدتهم، ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية. فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هدّاف جمعهم، ونشأت الجامعة بسبع دول، وصارت الآن 21 دولة، فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها. ونحن نرى أن جاء الدور على الإسلام يُجرّدونه من الرحمة والسلام والإخاء، يُزوّرون ويشوّهون المفاهيم والحقائق، ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم، يحرّمونها على شعوبهم ويحلّلونها لعدوهم الذي صوّبهم بخلق عدو جديد يهرولون في نجدته وهم أصل الفتن والبلاء.

إنني يا أخوتي، عندما أكتب عن القرى التي باتت مدناً وبلدات في فلسطين، رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً، إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلاله. وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات، وقد فعل. ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين، وتتجلى بما يلي: المجموعة بالصراع السياسي–الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة، ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.

تعدد كتاب القصة من أبناء فلسطين، وكثرت القصص القصيرة منها والطويلة التي تروي معاناة هذا الشعب والتحديات التي قابلته ولا تزال. وإني أقدم للقارئ نموذجاً منها للكاتب الشهيد المرحوم غسان كنفاني فيما كتب:

رحلة أسرة فلسطينية نزحت عام النكبة من يافا إلى عكا إلى لبنان عبر رأس الناقورة. وعند رأس الناقورة، تشتري النسوة سلة برتقال وهن بعيدات عن أرض البرتقال اليافاوي، ثم تكمل الأسرة الطريق. فيقول: "وعندما وصلنا صيدا وصرنا لاجئين". يبيع رب الأسرة حلي زوجته ويستأجر سكناً متواضعاً تأوي الأسرة إليه، وينتظر (يوم 15 أيار) آملاً أن تحرر الجيوش العربية فلسطين كما أكدت ووعدت. ولكن اليوم يمر وتترسخ الهزيمة ويطول النزوح، ويبأس رب الأسرة وتطول معاناته ويكاد يقتل نفسه، وإلى جانبه برتقالة جافة يابسة. إن صوت الراوي في قصة (أرض البرتقال الحزين) مفتاح أساسي للإنجاز الحقيقي لهذا العمل. فالراوي وهو الأخ الأكبر في الأسرة يتوجه بالسرد إلى أخيه الأصغر أحياناً وإلى أخوته كلهم في أحيان أخرى كي يكتسبوا من القصة المعرفة بالوعي.

وفي مجموعة غسان كنفاني (عالم ليس لنا) 1965م، تطغى موضوعة المنفى بشكل بارز. فقصة (جدران من الحديد) صورة شعرية لطائر ينتفض في قفصه دون انقطاع إلى أن يحتضر في سجنه. ولكن النهاية غامضة: هل يموت الطائر لأنه استنفذ قواه، أم هل يموت لأنه توقف عن الانتفاض؟ ومن قصصه مجموعة (عن الرجال والبنادق) التي تربط بين الحاضر والماضي وتتمثل في العلاقة بين الآباء والأبناء. فمفتاح المنزل القديم في الوطن السليب يشبه الفأس، وفي المنفى يكشف (الصغير) هويته ويتحسس جذوره، واكتشاف الهوية معادل لحمل السلاح. وهذه هي مواضيع عن الرجال والبنادق والمخيم والمعاناة والشعور والوعي بالمواجهة عبر الكفاح المسلح.

وفي عام 1968م، أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة (عن الرجال والبنادق). والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949م وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني. وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة. القسم الثاني أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويرقم الكاتب القصص من (1) إلى (9) معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين.

وقد ظهر في الناصرة مجموعة توفيق فياض (الشارع الأصفر) تعبر عن هموم الفلسطيني اليومية والنفسية والحياتية بأسلوب مشحون بالعاطفة. وتجاوزت هذه المجموعة طابع السرد لتصل إلى نوع جديد من التركيب الحديث، مع تضمين القصة عدة أبعاد واقعية ورمزية، وتمتزج بين الوطن والتراث، فتكسب مضمونها الكفاحي والرمزي دون أن تهمل القضايا الاجتماعية اليومية. وترتبط قصص المجموعة بالصراع السياسي–الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة، ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى. وقد نشطت الحركة في المدارس، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي. وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات، وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم، فقد ظهرت مسرحيات: جابر عثرات الكرام، جريح بيروت، عنترة العبسي، صلاح الدين الأيوبي، مملكة أورشليم، طارق بن زياد، وفتح الأندلس.

وفي العقد الثاني من القرن العشرين، برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي: وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924-1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو (وفاء العرب) لأنطوان الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية (عبد الكريم الخطابي) التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب، وذلك بين عامي 1927-1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية المصرية الثلاث (فرقة جورج أبيض، وفرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني) فلسطين، فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي، إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها. وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة إسكندر أيوب، وقد مثلت (هاملت) لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن: يافا، عكا، والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى، ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية. ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة، وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي) أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية. وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا في التأليف المسرحي محمد عزة دروزة، صاحب رواية (وفود النعمان على كسرى أنو شروان) التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس. ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية (شمم العرب) سنة 1914م، ومسرحية أخرى (وفاء العرب) سنة 1929م. وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان: (ذكاء القاضي) و(العدل أساس الملك) أو (لن أبيع أرضي)، و(عيد الجلاء)، و(فلسطين لن ننساك). وفي عام 1934م، أقدم المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي على تأليف مسرحية (في سبيلك يا وطن)، وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم، وهو من مواليد الناصرة، وكان يُصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية: (السجناء الأحرار)، (غرام الميت)، (قبلة المحبة)، (صراع بين العلم والإيمان) ...إلخ. ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية (حسن) وترجمت إلى اللغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم (والي عكا) التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية: (وطن الشهيد) عام 1947م، (شيخ الأندلس) 1949م، (حرب القادسية) 1951م، (الفداء) 1968م. وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية (مصرع كليب) 1947م، (أسرة الشهيد) عن أحداث النكبة سنة 1966م، وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح، فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي: (نساء وأسرار)، (صبر وفرج)، (قيصر روسيا ومصرعه)، (أصل شجرة الميلاد). وكتب غسان كنفاني من المسرحيات: (الباب)، (البني)، و(جسر إلى الأبد) وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي، وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف. وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في تنوع نشاطاتها وأهدافها. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات. وقد تعرضت الفرق المسرحية لنوعين من الرقابة: فرق تعمل داخل الخط الأخضر، وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول إلقاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية. وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري حسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض: مسرحية (أنا راجع يما) لمسرح آذار، ومسرحية (رجال في الشمس)، ومسرحية (كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن تعرضا في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء العرض وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما: (ثمن الحرية) لمسرح عبلين، ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة عندما أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت كثيراً منها على سبيل المثال لا الحصر: (رجال في الشمس)، (بنادق السيدة كرام)، (الملك هو الملك)، (الحضيض)، (الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته. وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين، وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6 و7 و8 /1982/9م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان، هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي). وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء

مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين، اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء (رابطة المسرح العربي). وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية، وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، وكشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا تزال على مرأى وسمع العالم كله(1) .

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، التي قامت بمسرحيات قصيرة تُعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة التي تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها. وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تُطبع على أسطوانات تُباع في الأسواق وتُوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب 1973، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي 1975/4/28، شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي: بلالين، وبلا لين، ودبابيس، وكشكول. وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول 1973. وأتيح لتجربة بلالين أقلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل: عطية أبو رميله، وفوزي السكري، وواصف ضاهر، وإيليا الشوملي، ونجوى قعوار فرح.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم. والمسرحيات التي لبلالين هي: (قطعة حياة)، و(العتمة)، و(نشرة أحوال الجو)، و(الكنز)، و(تعرفك يا صاحبي). ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة) و(العتمة).
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها، ثم صيانتها من طمع الغرباء واغزاه (الكنز).
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).

6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره، من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادي (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948، إذ قررت إنشاء (جريدة المسرح) أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها بتقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق في إحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً. وقد أسست الفرقة أيضاً (مجموعة أصدقاء بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ويناصرونها. ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت بلالين كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم (بستان بلالين)، وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت.

وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تُنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين. وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة لبلالين ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي 1975/4/28م، شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي: (بلالين)، و(بيالين)، و(دبابيس)، و(كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام 1973م. وأتيح لتجربة (بلالين) أقلام نقدية تؤرخ مسيرتها مثل: عطية أبو رويلة، وفوزي البكري، وواصف ضاهر، وإيليا الشوملي، ونجوى قعوار فرح(2) .

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية (المأساة في لكع بن لكع)، فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية (لكع بن لكع) راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد، في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب. وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي، وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان، ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة. ويصدّر حبيبي مسرحيته بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها: "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع". واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب. والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً)، فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود. ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى: "أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم / فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم."

ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي: "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب". ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية، فقد

قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي، لأمر ما، أبقوا على عروبة اسمه، وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان. برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة، قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه.

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر. وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها. وبطل الفصل الثاني هو بدور، رمز الإنسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الإنسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة. ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي، وسعادية هو اليهودي، وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي، وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع، وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف، وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية، والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية، وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة، وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية. وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب ليصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها. ولغة المسرحية تستفيد من التراث الشعبي، ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير، فتظهر اقتباسات حبيبي منها، ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب بالألفاظ.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم(3) .

قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وأنجبت له ثلاثة أبناء: عيسى، إبراهيم، بدر. وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج، وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك، وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً. وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية، تعرض بدر لوعكة صحية، فنزلا إلى المدينة للعلاج، فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام، وقررا العمل بالسينما المصرية. فأسسا شركة (كوندور فيلم) عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تُصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه هو فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة في الصحراء). في مطلع القرن العشرين، وتحديداً في العقد الثالث، ظهر الأخوان بدر وإبراهيم اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين. وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) :ولد بتشيلي في 1907/4/23، وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية، ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا. ولكن بسبب مرض بدر، توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقروا وكونوا ثنائياً ناجحاً، وعملوا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج، ثم أسسوا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى (كوندر فيلم). وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على إثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه.

بعد وفاة بدر :اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما مثل مع الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن، اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام. وتوالت النكبات على العائلة، ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة 12 مايو 1953. وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات، وانتهت بختمها بالشمع الأحمر، وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر، فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما، وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي، بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت)، و(صقر قريش)، و(القاهرون)، إلا أن الحظ لم يحالفه، فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

الفيلم	السنة	الفيلم	السنة
معروف البدوي	1935	قبلة الصحراء	1927
الهارب	1936	فاجعة فوق الهرم	1928
عز الطلب	1937	معجزة الحب	1931
نفوس حائرة	1938	شبح الماضي	1934
عريس الهنا	1944	الكنز المفقود (قيس وليلى)	1939
البيه المزيف	1945	رجل بين امرأتين	1940
البدوية الحسناء	1947	صلاح الدين الأيوبي	1941
		ابن الصحراء	1942

(1)الموسوعة الفلسطينية، مجلد 5 خاص، ص 164

إبراهيم لاما :سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى من حارة الفرحية في بيت لحم، وُلد فيها في منتصف الصحراء، إذ عُرض فيلمه في سينما (الكوزموجراف) في الإسكندرية. وفي عام 1930، انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية، وبعدها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928م بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما. إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948، و(القافلة تسير) عام 1951م. قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل: فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني،

بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير. تعرض الاستوديو لحريق، والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام. وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات، ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر، وانهارت العائلة. دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت إبراهيم (انتحاراً) في ليلة 1953 بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 2، ص 233 – محمود شريح.

(2) المصدر نفسه، مجلد 5، ص 25.

(3) المصدر نفسه، مجلد 5، ص 164

الفصل التاسع

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم. والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا. وقد وجدت بريطانيا مصلحتها في زرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الاتصال بين الجناح العربي في إفريقيا والجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم، وهو وعد بلفور، وزير خارجية بريطانيا، بتاريخ 2 أكتوبر 1917، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب. وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية، وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابه بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948، أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته: تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها. كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز أمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ) إلى جانب الهجرة الصهيونية التي تمت في عهد انتدابها، إذ كان عدد اليهود في فلسطين وقت انتدابها 56,000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650,000 نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين، وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة للمعارضين لسياستها، وتُعد بالآلاف، والسجون والمعتقلات والتشريد. وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر بحق عرب فلسطين:

1 . مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة في 1947/12/31:

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة، قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين في فسحة الباب. ووصل الخبر إلى العمال في الداخل، فثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ، وهاجموا العمال اليهود الموجودين في المصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً، فرموها بالقنابل اليدوية وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2 . مذبحة قرية سعسع قضاء صفد في 1948/2/14:

شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع، دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها، وأسفر الهجوم عن 60 قتيلاً معظمهم من النساء والأطفال. وقد تبنى العدو هذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3. مذبحة رحوفوت في 1948/2/27 قرب حيفا:

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحوفوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4 . مذبحة كفر حسينية في 1948/5/13:

قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5 . مذبحة بنيامينا في 1948/5/27:

لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران، أولهما تم في 1948/5/27 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين، وتمت العملية الثانية في 1948/5/31 حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6.مذبحة دير ياسين في 1948/4/9:

مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناحيم بيجن، رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد، والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً. وتم الهجوم باتفاق مسبق مع منظمة الهاجاناه. وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيون عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً، وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية. وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7 . مذبحة الطنطورة في 1948/8/22:

هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء ألكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات. وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور، وقتلوا من يقابلونه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم تسعون شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة. ولم يكشف الخبر عنهم إلا بقيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته التي خصصها للمذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8 . مذبحة قرية الدوايمة في 1948/10/29:

هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان، ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقُتل منهم 75 رجلاً. كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة في البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات. وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب، وقد جرى اقتناصهم وقتلهم. كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة، والتي لم يُكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة (حداشوت) الإسرائيلية تحقيقاً عنها. وقد أقام الصهاينة مستعمرة (أماتزيا) على أرض القرية المنكوبة.

9 . مذبحة يازور قرب يافا في كانون الأول عام 1948:

تقع القرية على مفترق طرق. تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية. كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه، يغال يادين، أمراً إلى قائد البالماخ، يغال آلون، بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22/كانون الثاني/1949، أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة، وتولى إسحق رابين عمليات البالماخ، فهاجم القرية فجر ذلك اليوم، فنسفت قواته العديد من المنازل ومبانٍ منها مصنع الثلج. وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام. وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة، كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة، ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10 . مذبحة شرفات في 1951/2/7:

في الثالثة من صبيحة يوم 1951/2/7، وصلت سيارات قادمة من القدس على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة، وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً، واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة وأحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوه بمن فيه، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم التي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة قتلى: ثلاث نساء وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11 . مذبحة بيت لحم في 1952/1/26:

وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح للطوائف الشرقية، قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته وطفلان، وجرح طفلان آخران من العائلة.

12 . مذبحة قرية قلمة في 1953/1/29:

هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية، حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها، وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13 . مذبحة قلقيلية في 1953/8/28:

حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين. ولم يكتف الصهاينة بغضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية، حتى أن موشيه ديان صرح بقوله: "سأحرث قلقيلية حرثاً" وذلك إثر فشل عدة محاولات لاحتلالها، وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين الأول عام 1953، تسللت إلى قلقيلية مفرزة من الجيش الصهيوني تُقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف وزرعت بعض الألغام في الطرق، في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة. وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة. لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته. وبعد ساعة، عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، وأُحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة، فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله. وقد استغل العدو هذه الظاهرة، فقذف التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها، وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلوه، ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت، ويقتل كل من يصادفهم في الطريق. وكانت حصيلة المذبحة غير المتكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيوت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني القريبة من القرية، واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق، فتكبدت بعض الخسائر، وقامت بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدتهم بعض الخسائر.

14 . مذبحة قبية في 1953/10/15:

في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "أرييل شارون" ونائبه شالوم، والذي يُحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956. وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قبية"، القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية. وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقامياً لمقتل امرأة يهودية مع طفلها، كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية. إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية، أثبت أن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد،

لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً ومسجداً وخزان مياه القرية. وقد أُبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتُعد مجزرة قبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية. والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15 . مذبحة دير أيوب في 1954/5/29:

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب، تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثانية عشرة. وعند وصولهن إلى نقطة قريبة من القرية، وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهم بعض الجنود الصهاينة. هربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى. أسرع أهل الطفلتين إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة. وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة، وفي اليوم التالي توفيت الأخرى في المستشفى الذي نقلت إليه.

16 . مذبحة نحالين في 1954/5/29:

قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 جندي باجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها. وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17 . مذبحة كفر قاسم في 29/أكتوبر/1956:

في 1956/10/29، وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية. وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساءً، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه، خاصة أولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها قائد القوة الإسرائيلية. كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية" بقوله: "الأفضل أن يكون هناك قتل، لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف". وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا بالجنود بكلمة "شالوم"، فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم أنه خر أرضاً مع الآخرين، ولكنه لقي مصرعه لاحقاً. كما قتلت مجموعة منهم امرأتين كانتا عائدتين من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي. وخلال ساعة ونصف، سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال سلخوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين، إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام. وتغطية على الجريمة، أُجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم، على رأسهم العقيد شدمي. وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشيه حاييم، بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقي بالبراءة. وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة، فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً، حيث أصدر إسحق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز الذي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين، وبين الأشكناز القادمين من أوروبا وروسيا وأمريكا.

18 . مجازر العدو الإسرائيلي في خان يونس:

شن الإسرائيليون على خان يونس غارتين عام 1955م، زاعمين أن المقاتلين الفلسطينيين ما زالوا ينطلقون منها ومن مخيمات اللاجئين قربها من إسرائيل للقيام بعملياتهم. ووقعت الغارة الأولى في 1955/5/30م، وكانت حصيلتها استشهاد عشرين عربياً وجرح عشرين آخرين. والثانية في مساء 1955/8/31م، واستهدفت مع خان يونس بلدة بني سهيلة. وقد استخدم العدو في هذا الهجوم الأخير مختلف أنواع السلاح الأرضي من مدفعية ودبابات ومجنزرات وقوات مشاة من سلاح الهندسة. وقاوم الأهالي بضراوة وكبدوا العدو الكثير من الإصابات، إلا أن التفوق الساحق للعدو اضطر فئات الحرس الوطني إلى الانسحاب والاحتماء في مخفر الشرطة، حيث استمرت المقاومة لفترة أخرى من الزمن. وفي النهاية، تمكنت مجموعة من سلاح الهندسة الإسرائيلي تحت حماية القنابل وستار الدخان من الاقتراب من المخفر، فنسفته بما فيه. وكانت حصيلة الغارة استشهاد 46 عربياً وجرح خمسين.

وفي 1956/11/12، قام العدو الصهيوني بالهجوم على خان يونس ومخيم اللاجئين، واحتل البلدة والمخيم، وقتل منهما 275 شهيداً، وذلك بإطلاق الرصاص عشوائياً على أهالي المخيم فقتل 111 لاجئاً في المخيم(5) .

حرب 1967م وخطة إسرائيل باحتلال بور سعيد عن طريق خان يونس ورفح: وما أن سارت مجموعة من القوات الشمالية الإسرائيلية المكلفة بإسقاط خان يونس ورفح والتوغل نحو الساحل باتجاه بور سعيد، حتى اصطدمت بمقاومة جيش التحرير الفلسطيني ذي التسليح الخفيف. وشنت المجموعة الأولى من الرتل الإسرائيلي هجوماً عنيفاً على بلدة خان يونس، غير أنها أخفقت، فكررت الهجوم مرات عديدة لمدة يومين، وكانت القوات الفلسطينية تردها وتدمر مدرعاتها. وتحت التحدي والضغط، اضطرت المجموعة إلى ترك خان يونس محاصرة والتوجه إلى رفح. واستنفذت المجموعة ما بقي لديها من احتياط، فعزز الرتلين المدرعين برتل ثالث، فتصدت لهما القوات المصرية بالأسلحة المضادة للدروع، مما اضطر القوات الإسرائيلية إلى التحول نحو العريش، والتقدم باتجاه الشيخ زايد وإلى مناطق العريش(6) .

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 6، ص 520 – ياسين.

(2) المصدر نفسه، ص 522.

(3) المصدر نفسه، ص 525.

(4) المصدر نفسه، ص 530.

(5) المصدر نفسه – فلسطين في الذاكرة.

(6) كل المجازر الواردة مصدرها (الذاكرة الفلسطينية – إنترنت)

الفصل العاشر

سياسة دولة الانتداب البريطاني على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل

كانت قرية الرينة وساكنيها من عرب 1948م من المناطق المقهورة منذ احتلالها، ومن اللحظة الأولى التي مرت على فلسطين في الحرب العالمية الأولى(1) .

انتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت، من ثورات الأعوام 1929م و1936م و1948م. وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعضها ويخربون ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب أهل البيوت الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية. كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعونهم في مركز آخر ويُجرى استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح. وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار، يهدمون بيته بالمتفجرات. وكم هُدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين.

ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة.

شهادة الكاتب:

كنت من سكان عكا، وفي عام 1947م، وفي شهر آب، سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف. وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة. وما هي إلا لحظات، ورأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز، ويصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة، لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت)، وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية، أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوتشكز) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه ما حصل، وكان يسوق السيارة، لحق بهم. وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، وقالوا لي أنهم ذهبوا عن طريق صفد. فأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي، وأرادت الرجوع والهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة وقتل سائقها، وانقلبت السيارة. وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فاخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية. وكان الأولاد أمامي، عندما يرى أحدهم بين الزرع، يصرخ للجندي بقولنا: "مستر مستر هذا واحد"، فيلقى مصرعه(2) .

وبعد أن أنهى الجندي مهمته، دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إليه، ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي". ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

وكان الهدف عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا. إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء، ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود. وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود، ثم تبعهم السجناء العرب.

إن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية. عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين، أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة. ولما وصل الحنيطي إلى عكا، حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا، وواصل طريقه. وبعد مغادرته عكا، سمعنا انفجاراً ضخماً، وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملاؤه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن. وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة. ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا. توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين. وعند قدومها، تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها، فتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل من سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه.

لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: "امشوا فوق جثثهم". وقد حاولت بدوري أن أدوس، ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر، ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً، وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر الغير أخلاقي أبداً. هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، وأركز على البعض منها:

- إن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك، وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس اليوناني في القرن السابع قبل الميلاد، وطيطس الروماني في القرن الأول الميلادي.
- أن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية. فالديانة اليهودية معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الإسكندنافي، واليهودي الخزري مع اليهودي الإفريقي. وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة، لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.
- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك.

فمصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا، وقناة السويس تحت الاحتلال البريطاني. وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه التدريبات والأسلحة، ولم نتأكد من وجود جيش إلا بعد أن انضم له ضباط فلسطينيون، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري 1939-1952م، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي. والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا، ولا تعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد. واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال، وتحت حكم الإمامة الذي كان إمامهم يبيع طوابع البريد في ديوانه. والسعودية التي كان ملكها مشغولاً بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة على تحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول، وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني، أن رجوه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد، لا أن تساعد الصهيونية. ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.

هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية، علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية، خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال، واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر. كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدرب احتياط. قبل الهدنة الأولى، كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية. تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة، إذ استغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل غربية جديدة ومنها الطيران، فيما لم توجد طائرة واحدة عربية دخلت أرض فلسطين. وتم إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً، مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

إن النقاط التي ذكرتها قليل من كثير، ينبغي على الفلسطيني خاصة أن يعرفها ويدافع عن حقه وشعبه وأمته.

الهجرة في زمن النكبة عام 1948

تقوم سياسة الصهاينة على أساس تفريغ أرض فلسطينية من سكانها وإحلال اليهود محلهم. وركزت دعاياتهم على أن فلسطين خالية من البشر، وعززوها بوعد أسطوري بأرض الميعاد، ولا بد من الرجوع إليها أي للشعب الإسرائيلي حتى يعمرها، إذ أنها أرض السمن والعسل. وقد جذبت هذه الدعاية الماكرة يهود كل أنحاء المعمورة. وقد ركزت رئيسة وزراء العدو (جولدا مائير) في خطاباتها بقولها: "إن أرض الميعاد أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". وقد شاعت هذه الأكذوبة وصدقوها. ولما كان الإنجيل نسخة معدلة عن التوراة، فإن المسيحيين قد أخذوا بهذا منذ وقت طويل، وأرضها السمن والعسل، إذ أغرت زعماء أوروبا ورجال دينها بغزوها، فكانت الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن، إذ تحررت ورجعت للأمة العربية.

في عام 1977، كنت في بريطانيا في بعثة لليونسكو لمدة ثلاثة أشهر للاطلاع على المناهج الدراسية وحياة الشعب فيها. شاهدت بعض العائلات اليهودية والتي غررت بهم الصهيونية، إذ تركوا أعمالهم في مناجم الفحم وذهبوا مع عائلاتهم إلى فلسطين. وسرعان ما شاهدوا المزارعين الفلسطينيين يعملون بكثرة في مزارعهم، وشاهدوا بيوتهم وقراهم ومدنهم وبياراتهم وبساتينهم، فانكشفت لهم حيل وأكاذيب الصهيونية، وصمموا على العودة إلى إنكلترا. ولكن السلطات ماطلتهم، فلجأوا إلى القنصلية البريطانية بالقدس، فساعدتهم على العودة، ويحكون القصة للناس ويحذرون الآخرين من كذب الصهاينة.

لقد استغل الصهاينة أبشع الأساليب غير الإنسانية في محاولاتهم التخلص من العرب وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم، ونتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لفلسطين. وتم تدمير 385 قرية عربية وإزالتها من خريطة فلسطين، وذلك عام 1948م. وبعد عام 1967م، استولى الجيش الإسرائيلي على كامل أرض فلسطين وسيناء والجولان. وقد اتخذ هذا الاضطهاد والتخريب كرد فعل لما فعله الأوروبيون، وبشكل خاص في ألمانيا. وقد اتخذ هذا الإجراء أشكالاً عديدة منها:

- صودرت أراضي قريتي إقرت وكفر برعم بموجب قانون تملك الأراضي الذي أقره الكنيست في 1953/2/30م، واستولت السلطات الإسرائيلية على أراضي إقرت في 1953/9/3م.
- طردت سكان قرية الجلمة غرب منطقة جنين من أراضيهم واحتلها الصهاينة، كما قامت بترحيل بدو النقب.

القوانين التي أصدرتها دولة الاحتلال لطرد وتهجير الفلسطينيين في أراضي 1948

وقد أصدرت السلطات الإسرائيلية في عهد حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي استهدفت التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من مدنهم وقراهم. (الموسوعة الفلسطينية، مجلد خاص، ص 346 – حسن عبد القادر)

1 . قانون كتساف (Kolsow) لعام 1979م: يقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات المحلية غير قانونية، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة عدد السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى. وقد تضمن هذا القانون حوالي عشرين ألف مواطن عربي وستة آلاف منزل خاصة، وقد طُبق بأثر رجعي.

2 . قانون كتساف للتحسينات: ينص هذا القانون على فرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية، وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

3 . قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة: يؤدي هذا القانون إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ عهد الانتداب البريطاني وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء عن الأراضي. وتمت مصادرة 150 ألف دونم من أراضي 17 قرية من قرى الجليل، وقد صدرت هذه القوانين في 1982/1/7م. وقد ضُمت هذه الأراضي المصادرة إلى المجلس الإقليمي للمستعمرات الصهيونية في المنطقة (مشاف).

4 . تحديد حرية الانتقال: استعملت السلطات العسكرية فرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن، إذ تحولت هذه المناطق إلى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول إليه إلا بتصريح من الحاكم العسكري الذي كان يرفض منح هذه التصاريح، حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.

5 . تحديد أسعار خاصة بالمحاصيل الزراعية: إذ قدرت سلطات الاحتلال على المواطنين العرب التصرف بمحاصيلهم الزراعية، وفرضت عليهم تقديمها إلى شركة يهودية. ففي خريف 1952م، استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.

6 . تحديد أجور العمال العرب: حيث حددت السلطات أجور العمال العرب، فيتقاضى العامل العربي أجراً أقل من أجر العامل الإسرائيلي والكفاءة واحدة. وكذلك بالنسبة للوظيفة، فإن راتب الموظف العربي أقل من راتب الموظف اليهودي مهما كانت كفاءته. وقد أصدرت بتاريخ 26-12-1981م نشرة هستدروتية باللغة العربية أوضحت الفرق بين العامل الإسرائيلي والعامل العربي من المناطق المحتلة(3) .

أجرة عامل عربي	أجرة عامل إسرائيلي	
12.23 شيكل	19.90شيكل	**أجرة ساعة العامل البسيط عند بدء العمل**
22.75 شيكل	35.50شيكل	**أجرة ساعة العامل المهني ذي الأقدمية (10-20 سنة)**
25شيكل	51شيكل	**علاوة أقدمية**

الاضطهاد الديني

لا يزال اليهود يعتبرون المسيحيين الذين يعيشون في فلسطين مرتدين. وقد اضطر بعض الكاثوليك مثلاً إلى ممارسة شعائرهم الدينية سراً خوفاً من أن يوصموا بالخيانة. واضطرت 1500 عائلة من الأزواج مختلفي الديانة إلى الهجرة من فلسطين المحتلة هرباً من الاضطهاد، ذلك لأن أبناء الزواج المختلط من اليهود والمسيحيين كانوا موضع احتقار وطرد.

أما عن الاعتداء على حرية المعتقدات والمقدسات الإسلامية، يمكن ذكر بعضها وما أكثرها:

- حول اليهود مسجد النبي داود القائم على جبل صهيون في القدس إلى كنيس.
- نسف الصهاينة العديد من المساجد في القرى العربية المحتلة، منها مساجد قرى: البروة، الغابسية، الكابري، كويكات في الجليل، وعشرات المساجد غيرها، ومحاولة حرق المسجد الأقصى.

- أغلق الصهاينة عدداً من المساجد في المدن والقرى، ومنعوا المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية فيها.

وتميزت حوادث الاعتداء على المراكز الدينية المسيحية في مدينة القدس كالآتي:

- تعرضت أربعة مراكز دينية مسيحية للحريق في مدينة القدس بتاريخ 11-2-1974م.
- الاضطهاد ووضع الصعاب ووضع المناهج الصهيونية وفرضها على المدارس العربية، فأكثر من 40% من دروس التاريخ مخصصة في المناهج التعليمية وتُفرض على العرب تحت الاحتلال، وهدفها حرمان العرب من تاريخهم وحضارتهم وتزييفها.
- إن 22% من اليهود في فلسطين المحتلة يتعلمون على حساب الحكومة، ولا يُمنح الطلاب العرب سوى 15.7% من المواطنين العرب.
- إن عدد صفوف الابتدائي في المدارس العربية في العام الدراسي 1981-1982م أقل من العدد المطلوب بحوالي 1400 صف. وكذلك يعاني التعليم في المدارس العربية من نقص المؤهلين والمثقفين.

- وفي عام 1961م، تألقت اللجنة العربية اليهودية لإلغاء الحكم العسكري. وفي آب 1959م، أعلن بن غوريون عن سياسة جديدة تخفف من القيود المفروضة على العرب، وتلاه إشكول في تشرين الثاني 1966م بإعلان سياسة جديدة أخرى تلغي الحكم العسكري، وتدمج العرب بباقي السكان ولو نظرياً على الأقل.

وبعد الصدمة المريرة التي تلت النكسة عام 1967م، انحسرت فكرة الاعتماد على الأنظمة العربية، واستجاب عرب الأرض المحتلة لفكرة الاعتماد على النفس التي تجسمت بتفجر حركة المقاومة الفلسطينية وغليانها في كل مكان. وقد حاولت إسرائيل كسب أهل الضفة والجولان عن طريق استخدام عرب 1948م للتأثير فيهم. ويقول حبيب قهوجي إن محاولة إسرائيل فشلت وخاب أملها. وكما قال طوليدانو، أحد الناطقين الإسرائيليين في صحيفة هآرتس: "بدلاً من أن يؤثر عرب إسرائيل في عرب المناطق المحتلة للتعاون مع إسرائيل، وقع عرب إسرائيل تحت التأثير السلبي لعرب المناطق". وبادرت السلطات عندئذ إلى منع العرب من دخول الضفة.

تجلت الروح الوثابة الجديدة في المظاهرات الكبيرة التي انفجرت عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وحمل المتظاهرون في عكا نعشاً رمزياً للراحل، فيما أغلقت المدارس أبوابها حداداً. وكثيراً ما تظاهر العرب وبعثوا باحتجاجاتهم على التصرفات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وما أكثرها كالاعتقالات ونسف الدور وحرق الزيتون وتخريب الأشجار والتربة. وكثيراً ما أعلنوا عن تضامنهم مع السجناء المضربين عن الطعام. وقد عبر حتى السجناء العرب في سجن الرملة عن تأييدهم لزملائهم السجناء من عرب الضفة والقطاع. وقد تجلى تأثير الضفة والقطاع في عرب الأرض المحتلة 1948م، بصورة أوضح في عام 1976م في وقفة "يوم الأرض."

حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استمالة عرب 1948م بمنحهم الحراك السياسي، وشجعتهم في الاحتفال بمرور عشر سنوات على إعلان قيام دولتهم كما فعلت بمدينة الناصرة. ولكن عرب أم الفحم وغيرها من قرى المثلث، ومن ضمنها الطيبة، لم يقبلوا ويسكتوا على هذه الإهانة، فعقدوا اجتماعاً ونصبوا مكبرات الصوت التي راحت تذيع خطاباتهم الحماسية الوطنية وأناشيدهم القومية التي انتشرت بعد تأميم قناة السويس، ونظموا أول مظاهرة كبيرة بمناسبة عيد العمال أدت إلى التصادم مع الشرطة ووقوع 18 جريحاً من الشرطة بينهم عشرة من المتظاهرين. وحدثت مظاهرة أخرى مباشرة في أم الفحم أسفرت عن إصابة (7) من رجال الشرطة

وضابط واحد. وكانت هذه المظاهرات لطمة للسلطة التي توقعت أن يكون الاحتفال مظاهرة تأييد وابتهاج لها، وإن كسبت الأمة العربية، فسارعت إلى قمع المتظاهرين واعتقلت 133 شخصاً منهم، فيما اتهم بن غوريون الأيدي الأجنبية وراء الأحداث. وقد أدت هذه الأحداث إلى إحداث انشقاق في سياسة الدولة، ومحاولة البعض منهم تخفيف الظلم وإعطاء الحرية للحراك العربي الفلسطيني. واستغل أفراد القوميين العرب هذا المنعطف، وأسسوا الجبهة الشعبية والتي تألقت سابقاً، وتحالفت مع الحزب الشيوعي، واستغلت وضعها وكانت تعارض السياسة الإسرائيلية للعرب وتطالب بتحريرهم من الظلم. وقد أعطت أحداث أيار/ مايو 1958م مثلاً كشفت أن المؤسسة الإسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو الإيجابية كما تسميها السلطات. وشارك في هذا النقد حتى بعض الدوائر والمؤسسات الحكومية. وبعد أسابيع قليلة، قدم 2000 شخصية بارزة عريضة يشجبون فيها سياسة الحكومة تجاه العرب، وتلت ذلك بيانات ومذكرات تتعلق بذلك.

المراجع:

(1) مشاهدات الكاتب مروان الماضي.
(2) الموسوعة الفلسطينية خاص، ص 233 – خالد الفشطيني.
(3) إقامة دولة إسرائيل

الفصل الحادي عشر

انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد. لكن الوضع بعد الانتداب، ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها، والذين يقال عنهم عرب 1948 وكان عددهم 120 ألف نسمة، مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلطات المحتلة بسكان 1948، وأعطتهم الجنسية الإسرائيلية، ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب. وكان هذا القرار إجحافاً فرضوه عليهم وجعل حياتهم في جحيم. وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئاً نحو العرب، فأزاحت عنهم الأحكام العسكرية، ومنحتهم حرية الحركة والعمالة المقننة، والتعامل بالتجارة والصناعة، وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها وتأمين الميزانية المتواضعة لإحداث المرافق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح البناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات، وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض.

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها، نذكر بعضها وما أكثر:

- العمالة في الوظائف والعمال: هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات، وكذلك في العمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- هناك تمييز في الرواتب، فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات.
- التعليم: تعامل السلطات التعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية، في البناء والمرافق، ثم الميزانية المقدرة لكل منهما في المدارس العربية ومدارس المستوطنات.
- تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء، لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.
- وضع النائب الفلسطيني في الكنيست: مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه في القانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم، وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في البرلمان الإسرائيلي، رغم القرارات التي اتهم فيها أعضاء المجلس بأنهم الطابور الخامس وآخرون بأنهم القنبلة الموقوتة، وتم طرد بعضهم.

وبعد احتلال إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في إسرائيل، طمعاً في تأثير هؤلاء (سكان عام 1948) على إخوتهم في الضفة والقطاع للتحول نحو إسرائيل. ولم يمض سوى شهور قليلة حتى تبين لهم أن أملهم ضاع هدراً، وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن العواطف العربية تتلاقى، ولم يتغير عند إخوتنا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان. وقد خاب ظنهم، وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل

بالسلع والمعدات. وطبقت إسرائيل سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع. ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات، بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاغتيال كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة)، وهو إرهاب الدولة. واشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى، مما أربك السلطات العسكرية، وكان ردها من القساوة: كسر عظام المتظاهرين، وموت الكثير برصاص العسكر، أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي، زد على ذلك السجون التي حوت الآلاف من المعتقلين، حتى قيل: "إنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراده السجن."

ومن نشاطات المقاومة بعض منها وما أكثرها، وفي يوم الأرض في 30 آذار الموافق عام 1976، إذ شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات، وأُطلق عليه يوم المساواة (السلام). وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب إسرائيل. وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية، رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيين بعدم استفزاز سلطات الاحتلال. إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا، وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني، أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضراباً شاملاً، وأطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن). وقد ازدادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

وفي حزيران عام 1967، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمانهم العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى: (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 آذار 1987، إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز، حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال. وفُرض منع التجول على المخيم ومن أحيائه، فتطاير الشرر وعمت الانتفاضة كل القطاع، ثم امتدت إلى الضفة الغربية. وإزاء المشهد اليومي، هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً. وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة، قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلاً منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة. وابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس، وهذا تقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد. ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين، انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل إحياء فلسطين، كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب. وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية.

استمراراً للانتفاضة، وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار، رفعت أعلام فلسطين وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل، مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فُرض عليهما منذ تسعة أيام. وقد تمكنت المجموعات المقاومة من وضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية. وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من

ملاحقة واعتقالات (2). وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا: 1162 شهيداً بينهم حوالي 241 طفلاً، ونحو 90 ألف جريح ومصاب، و15 ألف معتقل، وتدمير 1228 منزلاً، واقتلاع 140 ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية. كما تم اعتقال 60 ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل، بالإضافة إلى الأسرى العرب. ولاستيعاب هذا العدد الهائل، افتتحت إسرائيل سجوناً مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي افتتح عام 1988.

وقد قتل من الإسرائيليين 160 قتيلاً بينهم خمسة أطفال. حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين. أدركت إسرائيل أن للاحتلال تأثيراً سلبياً على المجتمع الفلسطيني، كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير عن بحث أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين. أدى هزيمته لصدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح داخل المجتمع الإسرائيلي، مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجبهة الشرقية"، واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد، فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب. عندما قام الابن جورج بوش باستخدام نتائج الحرب كنقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية، ودعم قرار الجامعة العربية، فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين إسرائيل والفلسطينيين حول الحكم الذاتي. تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والتي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو، الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً بغزة وأريحا عام 1994، وتواصل مع باقي المدن: الخليل، وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق. كان قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين، تعترف فيه منظمة التحرير بحق إسرائيل بالوجود، وتُلغي الإرهاب (والمقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية). في المقابل، تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي، واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة. في سبتمبر من عام 1995، تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو 2، وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل مجلس تشريعي. في 20 كانون الثاني سنة 1996، تم إجراء أول انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية. في أغسطس من عام 1999، تم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمس مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة، والسياحة.

الانتفاضة الثانية: (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999، ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو، والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد، التي أوضحت أن محاولة إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (194، 338، 242). ذلك إلى جانب عدم تطبيق إسرائيل لعدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو أو الاتفاقيات والمفاوضات

اللاحقة. واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية، ورفض الإفراج عن الأسرى، بالإضافة إلى استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967، جعل الفلسطينيين يقتنعون بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة، وأن المحادثات مضيعة للوقت. وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي، قام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق أرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتجول في ساحاته، وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية، مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين، فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى، فسقط سبعة شهداء وجرح 250، وأصيب 13 جندي إسرائيلي. وكانت هذه بداية انتفاضة الأقصى . (3)

بدأت الانتفاضة في 2000/9/28، وتوقفت فعلياً في 2005/2/8 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ، والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء إسرائيل أرييل شارون. وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقاتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي. راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً، وجرح 48322 جريحاً. وأما خسائر الجيش الإسرائيلي: 334 قتيلاً، ومن المستوطنين 735 قتيلاً، ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيلاً، و4500 جريح، وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا، وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات. وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها لاجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي، وأمطار الصيف، والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي، أبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين، واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المنافقة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين في خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً، وفشل إسرائيل في القضاء على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضدها، وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وإبادتهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى. لكن مكرهم سيرتد عليهم، والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين. وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم، والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.
2) ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
4) إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.

5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.
6) تحطيم مقولة الجيش الذي لا يُقهر في معركة مخيم جنين، الذي قتل فيه جندي إسرائيلي وجرح 58.
7) ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية.

لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج، خرجت فيها مظاهرات تأييداً للانتفاضة، وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المنافقة لتخدير الناس، ولا تزال.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول إسرائيل توظيف الصراعات العربية بعضها مع بعض، فجمّدت مفاوضات السلام التي نبذتها، ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها، وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها. ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة، ربيبة الاستعمار هذه الأيام. وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتنياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب، وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم. إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين. فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها، وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة. حتى سكان 1948 لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرباً. وأطلقت العنان لعصاباتها من المتشددين للعبث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم، من حرق بيوت مع ساكنيها، وحرق شجر الزيتون، وقطع أشجار الفواكه، وتجريف التربة، والاعتقال المبرمج للنشيطين. آخرها يوم الجمعة في 14/تموز/2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين، وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين، وتصميمهم على تهويد كل فلسطين. والأمم المتحدة خانعة لا تقوى على نصرة المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية. والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد إسرائيل على ما تقوم به، ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً.

وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحدياً سلطات الاحتلال، والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه، واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة، طالبين الشهادة، ويبرهنون للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد. وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف، بإصابات من قنابل الدخان والرصاص المطاطي والاعتقالات ومضاعفة الجرحى. وشعب القدس صامد، ووراءه أهله في فلسطين. لم يعرف الغرب بعد أن الصهيونية باتت عبئاً عليهم، وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار. حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم، ودورها باحتلال الكونغرس، والبنتاغون، ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان، ويبقى التغيير في النظم حاصلاً، والعدل والمساواة ونبذ الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 6، ص 1006 – شفيق الحوت وبيان نويهض.

(2) المصدر نفسه، ص 1008. (3) الموسوعة الحرة: ويكيبيديا

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا